

بخارى الشريفة

تاريخها وتراثها الحضارى

خالد عزب

الناشر
مكتبة مدبولي
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع
تليفون ٥٧٥٦٤٢١

المحتويات

صفحة

٥	مقدمة
٧	موقع المدينة
٩	نشأة بخارى
١٠	فتح بخارى
٢٠	قتيبة فى بخارى
٢٨	بخارى عند الجغرافيين المسلمين
٢٩	الدمشقى
٣٠	ياقوت
٣٥	بخارى . . المدينة الحية
٣٥	المنحة الأولى
٣٧	المنحة الثانية
٤٤	التسلل الروسى
٥٧	خطط بخارى وآثارها الباقية
٧٩	المراجع

أهداء

إلى أستاذى الدكتور على جمعة

خالد عزب

مقدمة

فى سنة ١٢٢٠م دخل «جنكيز خان» مدينة «بخاري» وسار على حصانه مختالا حتى أوقفتة مئذنة «كلان» بأمتارها الستة والأربعين، فظل واقفا أمامها ، يحملق فيها، محاولا أن يفهم سر هذا الشموخ .

وسأل - متى بنى هذا البناء العجيب؟

أجابوه - منذ قرن فى عام ١١٢٧م .

سأل- ولماذ بنوه؟

قالوا- ليرى البعيد عن المدينة أعلاه ، فيعلم ان الله يراه ، وليرى من بالمدينة نفسه فيرى كم هو ضئيل فصاح غاضبا . وهو يبتعد: « لقد أتيت من بعيد، وأنا أعرف هامتى على الارض . اما من يستحقون السماء ، فليسوا الأقويا ء بل الاصفياء » .

وسار حائرا... ولايزال!!.

هكذا قدمت بخارى نفسها لجنكيز خان.. فى فلسفة
تبيين حقيقة الإنسان فى هذا الكون.. بخارى من منا
لايعشق بخارى أرض البطولات والعلماء والابتلاءات..
فالى بخارى نرحل فى رحلة عبر الزمان والمكان .

خالد عزب

ص.ب. ١٨٢

العتبة - القاهرة - ١١٥١١

موقع المدينة

كانت بخاري تحتل مكانة جغرافية جديدة بالاهتمام في نظر العرب الفاتحين لقربها من خراسان، فيصفها الاصطخري^(١) بأنها أول الكور في بلاد ماوراء النهر فمن كان بها فخراسان أمامه، وما وراء النهر وراءه^(٢) واعتبرها الجند العرب الذين فتحوا خراسان زمن الراشدين^(٣) نظروا إلي بخاري لقربها منهم وكونها باباً جديداً ينبغي اجتيازه للوصول الي عالم جديد لنشر الاسلام فيه.

وعرف عن بخاري أنها إحدى قصبتى الصغد باقليم ماوراء النهر، ويشير لسترنج^(٤) الى الصغد بأنه كان يمثل مدينتان كبيرتان اولاهما بخارى عاصمته الدينية، وثانيهما سمرقند مركزه السياسى، ويظهر ان تبعية بخاري للصغد ترجع إلى أن نهر الصغد ينتهى إلى بخارى^(٥)، غير أن ارتباط سمرقند ببخارى معروف منذ القدم وتؤيدة الجغرافيا ويدعمه التخطيط الهندسى لكل من المدينتين فضلا عن الطرق والدروب التى تربط بينهما^(٦)، مما ينهض دليلا على أن اجتياز بخاري يؤدي

بالضرورة الي استطلاع مشارف سمرقند الأمر الذي يزيد من أهمية بخاري في نظر الفاتحين العرب بطبيعة الحال.

أما التعريف العربى «بلاد ما وراء النهر» الذي أخرجته الجغرافيون العرب فيقصد به زمن القرن السابع الميلادى البلاد الواقعة فيما وراء نهر جيحون وعند شاطئه الأيمن، غير أن مدلوله سرعان ماتوسع بحيث شمل عند البلخى قسم من الشاطئ الأيسر بخوض النهر الأعلى «سيحون» الأمر الذي يشير الي اعتبار اجزاء مثل طخارستان والطلاقان مكملة لبخارى منذ عهد السامانيين (٧). وتقع بخارى على شاطئ نهر زرفشان (نهر الصفد)، ونستدل من اشارات الاصطخرى (٨) أنها تقع عند نهاية هذا النهر، حيث يجرى فى أجزاء كثيرة منها وبالذات الرىض والأسواق.

وتتميز بخارى دون سائر مدن ماوراء النهر بهوائها الجاف المتقلب لقربها من المناطق الجبلية، شتاؤها طويل بارد، وربيعها ممطر وصيفها حار جاف، وخريفها يتميز بالنشاط، والمناطق الرملية المحيطة بها ذات هواء ساخن

وشتاء لفترة قصيرة الأمر الذى جعل الناس ينتقلون الى السهول والوديان الغربية التى تتوسطها المدينة نفسها ، ويعتبر الجزء الشمالى منها أخصب بقاعها لإحتوائه على واد خصيب . يؤدى الى سمرقند . ويتضح لنا من أشارات الجغرافيين أن نهر الصفد قد ميز الجهة الشرقية من بخارى ، بحيث صارت أخصب مناطق بخارى ، مما جعل تلك المنطقة منذ القدم مركزا رئيسيا للزراعة . فى حين يجاورها من الغرب صحراء خوارزم ، ومن الجنوب منطقة جبلية يجاورها من الشرق وادى الصفانيان وقد ذكر بطليموس فى كتابه الملحة . أن بخارى من جملة الاقليم الخامس ، ويبلغ طولها سبعة وثمانين درجة ، وعرضها إحدى وأربعين درجة (٩) .

نشأة بخارى

يشير ابو الحسن عبد الرحمن النيسابورى فى كتاب خزائن العلوم أن الثلوج التى كانت تذوب بالجبال بناحية سمرقند كونت الماء الكثير الى جانب ماء أخر كثير كان يأتى من نهر بنفس الناحية ، وظل هذا الماء الكثير يحمل الطمى الى ناحية «بتك» و «فتك» (١٠) إلى أن طمر ذلك

الموضع الذى يقال له بخارى حيث تمهدت الأرض ،
وأصبح ذلك النهر العظيم. الصغد (١١) ومما قيل أن الناس
تدفقوا على ذلك المكان من ناحية التركستان (١٢).
وتكونت بمرور الوقت حول هذا الموضع مجموعة من
الرساتيق. (١٣). وظهرت المدينة بعد ذلك تبعا للتطور
السياسى الذى طرأ على تلك المنطقة .

ويقال ان أسم بخارى مشتق من السنسكريتية من
لفظة «دهار»

Ve hara وتعنى الصومعة أو الدير، ويرى البعض أنه
كان فى موضع المدينة معبد بوذى، منه جاء هذا
الاسم (١٤).

فتح بخارى

كانت تحكم بخارى عند فتح المسلمين لها سيدة يطلق
عليها لقب خاتون بمعنى «السيدة ذات المنصب او الشرف
الرفيع» وذلك بعد وفاة زوجها «بيرون» حاكم بخارى

أو « بخارخداة» لقب ملوك بخارى، وتولت الحكم نيابة عن طفلها «طغ شادة» ويقال عنها إنها كانت شديدة الحسن والدهاء ، وقوية التأثير والنفوذ، وكانت تعمل على رعاية بلادها صباح ومساء، وتستأثر لنفسها بالسلطان والرأى . كما كانت تتمتع بعلاقات قوية مع ملوك البلاد المجاورة .

وكان أول من وصل بلادها من المسلمين الفاتحين «عبيد الله بن زياد، فى عهد الخليفة الأموى» معاوية بن أبى سفيان . احتالت خاتون على عبيد الله وقالت له على لسان رسولها . . لقد دخلت فى طاعتك، ولكنى أحتاج كمهلة أسبوعا، حتى أعب شعبي للأمر.. وأرسلت مع رسولها الهدايا والأموال .

وفى نفس الوقت أرسلت إلى ملك الترك رسولا تطلب منه العون على مقاومة «عبيد الله» المسلم ، وتحذره من مغبة استيلاء المسلمين على بخارى، لأن المسلمين يطمعون فى الشهادة قبل المال، وفى النصر على السلامة .

ومرت المهلة ولم يصلها المدد، فأرسلت هدايا أخرى،

وأموالا كثيرة، تطلب بهما مهلة أخرى ، سبعة أيام ، وفي
المهلة الثانية وصلت جيوش ملك الترك، وبدأت المعارك بين
المسلمين والأتراك . وهزم الأتراك وفروا، وأغلقت «الخاتون»
أبواب بخارى، وجلست فى قصرها تنتظر مصيرها ودخل
عبيد الله المدينة، وغنم المسلمون أسلحة كثيرة وأثواب الجند،
وما وجدوه من فضة وذهب، وكان مما غنموه أحد خفى
خاتون بجورية، وكان الخف والجورب مزينين بالجواهر
والذهب الخالص، ويقال إن قيمتهما بلغت وقتها ٣٠,٠٠٠ درهم

أرسلت الخاتون رسولا إلى عبيد الله يطلب الأمان لها
ولقومها، فأجابها «عبيد الله على طلبها» ، واخذ منها «مليون
درهم» ثمنا للصلح ولما تولى سعيد بن عثمان إمارة «خراسان» ،
ذهب بجنوده إلى بخارى يستطلع أمر الرعية، فأرسلت له
«خاتون» أموالا وقالت له إنى على عهد مع عبيد الله فوافقها
سعيد على ما عاهدت عليه سلفه «عبيد الله» وأعطاهما وقومها
الأمان .

ولكن جنودا من المدن المجاورة، لما سمعوا بنبأ
مقدم سعيد بن عثمان هبوا لنجدة الخاتون، وللانتقام للأتراك
الذين هزموا على يد عبيد الله، وبلغ قوام هذا الجيش

١٢٠,٠٠٠ جندي، وأرسلوا رسلهم إلى خاتون يعاهدونها على القتال إذا منقضت عهدها مع المسلمين .

وراحت خاتون ترسل من يثير الجنود المسلمين، ويتعهد التحرش بهم في رواحهم ومجيئهم وأخذوا يتعمدون إظهار عدم ولائهم للإسلام ، وضيقهم بهؤلاء القادمين الجدد فما كان من سعيد بن عثمان إلا أن أرسل لها رسولا يرد لها أموالها، ويخبرها أن هذا الصلح لا ينفع ، وأن الله غالب على أمره .

أرسلت الخاتون جنودها لينضموا إلى جنود الترك، واصطف الجيشان، فلما رأى جنود الترك جيش المسلمين، ودارت بعض المناوشات الصغيرة بين الجانبين، سرى الفرع في جيش الكفار، وأخذ الكفار ينسحبون كل إلى بلده ، وتركوا جنود «الخاتون» وحدهم في الساحة .

أسرعت الخاتون تطلب الصلح من جديد، وتعلن التوبة عما بدر منها ، وتخبر سعيدا أنها أرغمت على الاشتراك في هذا الجيش تحت ضغط الجنود الذين جاءوا من «صفد» و«كاش» «نخشب أو نسف -أوقرشي» وأرسلت أموالا أكثر، وهدايا أجمل وأزيد، وطلبت الأمان لمن طلبه .

ولكن لما فعلته، فإنه طلب منها «رهائن» يصحبونه في
طريقة الى «صغد» وسمرقند للفتح ولتأديب جيوش
«صغد» على ما فعلوه مع جنوده أثناء إقامتهم ببخارى!

فأعطته «الخاتون» ثمانين من الأمراء والسادة
ليكونوا رهائن لديه، على أن يتركهم أثناء عودته من
غزواته.

وتحكي كتب التاريخ قصصا غريبة عن هذا الأمر،
فهناك من يقول إن «خاتون» كان لها عشيق من غلمان
زوجها «بيرون» وأن ابنها «طغ شادة» كان ابن هذا
العشيق. وأن شائعات سرت في المدينة وقت الحرب
والهزيمة عن شرعية ولاية «طغ شادة» في الحكم،
وبالتالى عن شرعية «الخاتون» فى تولى الأمور نيابة
عنه، وأن بعض الأمراء والسادة كانوا يعدون العدة لقتل
«طغ شادة» وعزل «خاتون» وتولى أمور البلاد فلما جاء
طلب سعيد ابن عثمان لرهائن، أرسلت «خاتون»
خصومها السياسيين إلى سعيد، وضربت عصفورين
بحجر واحد. فقد أمنت من سعيد الحرب، وأمنت من
أمراء الداخل الفتنة .

وسار سعيد إلى «صغد» و«سمرقند» ففتحهما،
وعين - لهما ولا من قبله يحكمون باسم الخليفة، وعاد
إلى بخارى.

ويقال أن «خاتون» وكانت أمورها قد استقرت في
الداخل، أرسلت الية من يطلب الرهائن، فشعر سعيد
بالقدر منها، ورفض أن يعيدهم حتى عبر جيحون.

وهناك أرسلت رسولا ثانيًا: فرفض ثانية ..
وهكذا حتى وصل إلى المدينة، وهناك جعلهم سعيد خدما
ومزارعين، فعز عليهم الأمر، فقاموا عليه ذات ليلة
وقتلوه، ويقال في روايات أخرى: أن أمراء بخارى أكلوا
الأمر إلى بعض الرقيق الذين كان سعيد بن عثمان قد
جلبهم معه من «سمرقند»! ومن الطرائف التي تحكى
عن «الخاتون»، أن سعيدا مرض بعد أن عقد الصلح مع
الخاتون، فذهبت لعيادته ومعها كيس وقالت له، إننى
أحتفظ في هذا الكيس بشيئين من أجل مرضى، ولكن
سأعطيك واحدة منهما، وأحتفظ بالأخرى لنفسى .
ومدت يدها وأخرجت «ثمرة قديمة» وأعطتها له.

فتركها سعيد تنصرف وهى تعتقد أنها قدمت له.

«سر الشفاء»، وطلب من رجاله أن يرسلوا إليها في قصرها خمس جمال محملة بالتمر، فلما رأت هذه الكمية، ذهبت إليه معذرة وممتنة.

تولى مسلم بن زياد الامارة بعد سعيد بن عثمان، وأرسل جيشة الى بخارى، فقامت «الخاتون» بطلب العون من «طرخان» ملك «الصفد» ومن الإمارات المجاورة، وعقدت صلحا من جانبها مع مسلم، وفتحت له أبواب المدينة والقصر، لكي لا تكرر معه ما حدث مع سعيد بن عثمان، مما قد يجعله يحتاط أو يعرف خديعتها فيعزلها.

وبينما هم في المدينة، أتى الى مسلم خبر وصول الجيوش. فاعلنت «الخاتون» أنها لا تعلم عن الأمر شيئا، وأن هذه الجيوش جاءت لمنع المسلمين من التقدم، وليذودوا عن بلادهم قبل أن يصل المسلمون إليها.

أغلق مسلم أبواب بخارى، وأرسل أبا سعيد المهلب ليستطلع جيوش العدو، وطلب المهلب من مسلم ! إخفاء أمر الاستطلاع عن الجنود، لئلا يسرى الخبر عبر

جواسيس الكفار إلى قائدهم ويصبح ومن معه فى خطر.
إلا أن مسلما أخبر الجنود بالنبأ، ليحثهم على الاستعداد
والتأهب، ولقلة حذره وخبرته بالأمور العسكرية.

وكان الجنود لا يظنون الأمر كما أراد المهلب، أى أن
يظل سراً لئلا يقتل ومن معه، ولا كما رآه مسلم أى أن
يخبرهم بقرب النزال، وبأنه يستعد له كما يجب، بل
ذهب تفكير الجنود إلى « الغنائم » فهذا ما يفكر فيه عادة
بسطاء الناس، والطمع أقرب إلى النفوس من التدبير
والشجاعة.

وسرت شائعات بأن المهلب ذهب « ليغنم وحده » ،
أوليغنم ومسلم... وحدث أن خرج بعض الجند دون
استشارة من مسلم إلى نهر « خرقان » حيث كان الأعداء
على الضفة الأخرى، ليستطلعوا الأمر. فأبصرهم المهلب
وعرف ما حدث، ورأى الكارثة محيقة بهم، فحتماً
سيعرف الأتراك أمرهم.

وكان المهلب وهو أبوسعيد المهلب بن أبى سعيد
صفرة ظالم بن سراق الأزدى العتكى (83-7هـ)
(628-702م) أميرا بين قومه، كريما بين جنده، شديد

البأس على أعداء الاسلام والكفار، وقد قال فيه « الزبير بن العوام »، «أبوسعيدا لمهلب سيد أهل العراق»، فلما رأى المهلب الجنود قادمين، لم يدع الوقت يسرقة، ولا الندم يعرقله، فقال لهم:

و«الله لتندمن على فعلتكم..»، وجعلهم يقفون على أهبة الاستعداد للقتال، وكانوا تسعمائة فارس، وجنود الكفار ١٢٠,٠٠٠ جندي، ولم يمر وقت طويل حتى أحاط بهم جنود الأتراك، فنفخ المهلب فى البوق، ودارت معركة ساخنة مات فيها من المسلمين أربعمائة فارس، وانسحب المهلب مع الباقين بشجاعته وقدرته على المناورة والقيادة.

وفى اليوم التالى عبر الأتراك النهر ووصلوا إلى مشارف بخارى حيث كان يعسكر الجنود، ولم يكونوا يتصورون أن الأتراك سيأتون خلفهم بهذه السرعة، خاصة بعد أن فرمهم المهلب وبقايا كتيبته.

وتقدم المهلب إليهم واشتبك معهم، وأدرك أن الهزيمة ستلحقه، فصاح: «الغوٲ..الغوٲ..المدد..المدد» وسرى النداء بين الجند، ووصل إلى مسامع مسلم، فسأل ماذا

حدث.؟ فقالوا له :

إن الهلاك يحيط بالمهلب وإلا ما استغاث ، فلنخرج إليه بالجنـد .

فطلب مسلم أن يتمهلوا قليلا ، وأرسل بطلب الطعام .
فصاحوا فيه :

« مرالرجال أن يذهبوا للحرب . الوقت للموت وليس للطعام » ولم يكن . مسلم رجل حرب ، ولكنه لم يكن جبانا ، فأمر الجنود بالخروج للقتال . ولما وصلوا إلى المهلب ، كان يقاتل وجنده بشراسة اليائس ، وإيمان الواصل بالجنة ، وشجاعة الراغب فى النصر ، وما أن ظهرت بشائر قوات مسلم ، وثب الجنود على الأتراك بروح من انتصر بإذن الله ، وقتلوا ملك الأتراك ، وكبروا مهللين بالنصر وراحت الغنائم تنهال على المسلمين ، وأصاب الجنود منها الكثير .

وعرفت الخاتون بما جرى ، فأرسلت تهنىء « مسلما » على النصر ، وتغدى عليه الهدايا لفرحتها ، وهى تضر الحقد والندم والغیظ على فشلها المرة تلو الأخرى .

قتيبة في بخارى

عندما تولى القائد المسلم العظيم « قتيبة بن مسلم » ولاية خراسان، توجه الى بخارى، فرأى أهلها يسلمون ظاهرا ويعبدون الأصنام فى الباطن، وثلاث مرات غزاهم المسلمون، ووجد سلوكهم واحدا لا يتغير، وفى الرابعة كر عليهم ودخل المدينة. (١٥) أسهم قتيبة فى تدعيم الصلات بين المسلمين والترك بمقتضى الصلح الذى صالح به البخاريين على سبعمائة ألف درهم، وضيافة المسلمين ثلاثة أيام (١٦). بمعنى أن يقوم أهالى بخارى بضيافة من ينزل عليهم من الجنود العرب خلال هذه الفترة المحددة، ولا يخفى علينا ما لهذه السياسة من أهمية فى خلق فرص أمام العرب للاندماج مع الترك فى بخارى.

ويرجع الفضل إلى قتيبة بن مسلم فى اسكان القبائل العربية واستقرار افرادها استقرارا حقيقيا فى مراكز ثابتة فى بخارى، فقد دعا هذا الفاتح العظيم حينما صالح أهالى بخارى إلى تخصيص جزء من منازل بخارى للمسلمين والجنود العرب على ان يكفلوا تقديم العلف

لخيل العرب ويرسلوها مع شخص خارج المدينة، وتشير المراجع الفارسية إلى أن ظهور العرب فى بخارى لم يأت إلا بعد أن صالح قتيبة أهلها وأتم فتوحاته فى هذا الأقليم^(١٧).

وكان قتيبة بن مسلم يعول على تسكين العرب البلاد المفتوحة فيما وراء النهر بعد اتمام عمليات الفتح، وكان يفضل اسكانهم فى المدن الكبرى، فأورد النرشخى أنه قد استهدف من وراء تخصيص منازل للعرب فى هذه المدن نشر الاسلام، وأمر أهل بخارى بأن يعطوا نصف بيوتهم للعرب ليقيموا معهم ويطلعوا على أحوالهم. فيظلوا مسلمين بالضرورة، الأمر الذى ينهض دليلاً على أن قتيبة كان يدرك أهمية العامل الاجتماعى فى الترويج للدعوة الى الاسلام، ويذكر ابن كثير^(١٨) عن قتيبة أنه (قد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصيهم الله، فأسلموا) واتبع قتيبة بن مسلم سياسية فى توطين العرب تنطوى على تأثيرات قبلية فخصص بها جزءاً لربيعة وآخر لمضر وثالث لليمنية، وجعل للقائد ابن أيوب بن حسان محلة كوى كاخ (محلة القصر) لظروف أملت لها عمليات

الفتح^(١٩) وحرص قتيبة على أن تكون بيوت العرب فى داخل بخارى فى جهة باب المجوس (وهو أقوى الأبواب) وله حزام كبير طوله ستون قدماً، ويبدو أن تلك الجهة كانت قبل الإسلام للمجوس والوثنيين، الذين مثلوا الأغلبية بين أهل بخارى الأمر الذى يعكس رغبة قتيبة فى أن تؤدى هذه السياسة إلى ازاحة آثار هذه العقائد القديمة.

اتجهت السياسة العربية فى بخارى نحووا اجتذاب الأهلين لأفساح المجال لرواج تعاليم الإسلام، وأول ما يقابلنا من سياسات الحكام العرب فى هذا المضمار ابقاؤهم على من بقى من اعضاء الأسرة الحاكمة فى بخارى فى مناصبهم، من ذلك، أن العرب تركوا أمير بخارى طغ شادة فى منصبه، وجعله يحكمها حتى نهاية عهده سنة ٩٦ هـ، ولم يغير خلفاؤه هذه السياسة من بعده، فقد ظل طغ شادة هذا على بخارى حتى عهد الوالى نصر بن سيار، فملكها اثنين وثلاثين عاماً فى ظل الحكم الاسلامي^(٢٠) وجنى قتيبة ثمار سياسته هذه، فقد اظهر طغ شادة اسلامه بتأثير هذه السياسة التى كفلت له

البقاء فى الحكم، وانجب وهو فى الاسلام ولدا أسماه قتيبة حبا فى قتيبة بن مسلم (٢١) وخرج من بيت طغ شادة من اعتنق الاسلام واتخذ منه عقيدة راسخة. وقضت سياسة العرب تعيين عمال من العرب إلى جانب أمراء الترك فى البلاد المفتوحة فيما وراء النهر، فجعل قتيبة مع طغ شادة أيوب الأنصارى أميراً على بخارى (٢٢)، ولسنا نعرف على وجه الدقة مدى ما كان يتمتع به هذا الأمير من نفوذ، لكن النرشخى أظهر ضمن اشاراته الغاء العمل بذلك النظام زمن العباسيين حينما أشار الى انفراد الأمير أبى جعفر الروافقى سنة ١٥٠ هـ بحكم بخارى دون أن يشاركه أحد من الأمراء المحليين الترك الذين عرفوا زمن بنى أمية، وكان ذلك الأمير يسلك سياسة قابضة ويسيطر على مقاليد الحكم، ويتدخل فى توزيع الأراضى والإشرف على السجلات.

ولم يغفل قتيبة أهمية بناء المسجد رمز السيادة الإسلامية والدعوة اليه بين البخاريين، فاتخذ موضعاً للأصنام فى بخارى وأقام عليه أول مسجد جامع سنة

٩٤هـ وكان يدرك ان الاسلام كان لا يزال جديدا على الناس فضلا عن خطوره مردة المجوسية الذين أحاطوا بالمدينة بالخارج، وكان قد شجع الترك على الدخول فى الاسلام بأن أمر مناديه بالخروج كل يوم جمعة ليعلن بينهم عن منح كل من يأتى لصلاة الجمعة درهمين، وكان من أثر ذلك أن ازدادت رغبة الناس فى الإسلام، وكان من أثر ازدياد الراغبين فى الاسلام أن ضاق هذا المسجد بالمصلين^(٢٣)، وظل الأمر على تلك الحال إلى أن أضاف إليه ووسع فيه الفضل بن يحيى البرمكى الذى تولى خراسان سنة ١٧٨هـ زمن الخليفة هارون الرشيد^(٢٤)، واهتم ببناء المساجد فيها، وأحس معاملة أهلها.

ويرجع الفضل إلى قتيبة بن مسلم فى احلال المساجد محل معابد الأصنام^(٢٥)، فضلا عن قيامه بافساح المجال لبطون القبائل باتباع ما جرت به العادة من أن يقوم كل بطن ببناء مسجد للصلوات الخمس، وهكذا عرف مسجد بنى حنظله^(٢٦)، ومسجد بنى سعد^(٢٧).

ومما يجدر ذكره أنه كثيرا ما كانت المساجد فى

نواحي بخارى تقام فى الأسواق أو قريبا منها الأمر الذى يعكس أهمية العامل التجارى فى مجال الدعوة إلى الإسلام، ويظهر نسقا لتشجيع البخاريين على اعتناق الإسلام، بدليل أن الأسواق كانت تكثر كل يوم جمعة حيث يهبط الناس من خارج بخارى إلى هذه الأسواق أيام وسط الشتاء^(٢٨)، بل ظهر بمرور الوقت المساجد على رأس الطرق، التى تربط بين المدن فيما وراء النهر^(٢٩)

وتميز المسجد فى بخارى على عهد قتيبة بالبساطة، واستخدم فى بنائها الحجر ولنضرب مثلا بالمسجد الذى أقيم بناحية «فرب» من بخارى الذى بنى بالأجر دون استخدام الخشب فى حين أضيفت إلى المسجد الجامع الذى بناه قتيبة فى بخارى سنة ٩٤ هـ أبواب خشبية نقلت إليه من قصور الأغنياء بخارج المدينة^(٣٠). أما عن تصميم المسجد فى بخارى فى تلك الفترة المبكرة فلا يختلف عن تصميم المساجد الأولى فى الإسلام، فكان يشمل زمن بنائه الأول على رواق للقبلة وساحة^(٣١) وادخلت عليه عدة تحسينات على يد الفضل بن يحيى البرمكى، حيث أمر باستخدام القناديل فى إضاءته، وزاد

عليه الأمير الساماني إسماعيل بن أحمد (٢٧٩-٢٩٥هـ) بمقدار الثلث، أما المئذنة فقد أضيف إلى ذلك المسجد في سنة ٣٠٥ هـ.

ويظهر أثر الفن الساساني في العمارة الإسلامية في بخارى فالأبواب التي كسيت بالزخارف ونقلت إلى مسجد قتيبة من قصور الأغنياء، تمثل الأساليب الفارسية، غير أن العرب تخلصوا من الرسوم التي لا تتفق والمقتضيات الإسلامية، ثم تأثروا بمرور الوقت بهذه الألوان الفنية وهضموها، ومما ساعد على ذلك أن معابد الأصنام في بخارى كانت تشمل مظاهر معمارية تماثل ما تحتوى عليه المساجد من مظاهر، كالصحن وبوائك الأعمدة، وكان من أثر ذلك أن ظهر في وقت لاحق فن إسلامي خالص ينطوي على انفعال العرب بالموثرات الفارسية، ولعل مسجد بيكند ببخارى يعد نموذجا لهذا التمازج، وذكر عنه ياقوت الحموي «قد زخرف محرابه، فليس بما وراء النهر محراب مثله ولا أحسن زخرفة منه..» (٣٢). ومما يجدر اعتباره أن قيام المسجد في بخارى

بوظيفته فى المجال العقائدى قد واكبه ازدياد ملموس فى الإقبال على الاسلام من جانب البخاريين الذين بلغ بهم الأمر أن حاكوا العرب فى بناء المساجد، وخرج من بخارى كوكبه من خيرة علماء الأمة حتى صارت بخارى مدينة العلماء. وصارت فى القرن الثالث الهجرى مقصدا لطلاب العلم والعلماء حيث كان المتخصصون بها يعقدون حلقات التدريس فى أصول الأدب والمنطق والرياضيات والعلوم الطبيعية إلى جانب العلوم الدينية^(٣٣) ومن الثابت أن دور بخارى فى مجال العلم والأدب الذى نبع من جهود علمائها المشكورة كان من أسباب تسميتها بقبة الاسلام .

وأهم ما يقابلنا من سياسات حكام المسلمين تجاه البخاريين، تشجيعهم للنشاط التجارى، وهذا النوع من النشاط كان يمثل أمرا محوريا للأهلين تدور حوله أمورهم الحياتية، ونستخلص من المصادر أن الربط التى كان يقيم فيها الغرباء بين أهالى بخارى كانت تسهم بشكل فعال فى رواج التجارة، وتنشيط التبادل بين أهالى بخارى وسائر نواحيها والاقاليم المجاورة لها^(٣٤) أما مجال التجارة الخارجية فقد عول البخاريون على

الاهتمام به- وبالذات- منذ أن استقر العرب في بخارى،
فأخذوا يقصدون الطرق التجارية القديمة إلى بلاد الصين،
وكانت بخارى همزة الوصل بين قوافل الصين وقوافل العراق
وإيران وآسيا الغربية (٣٥)

وأوجد ذلك كله فرصة أمام التاجر المسلم والمطوعة للجهاد
في سبيل نشر الدعوة، وساعد على ذلك أن الصين منذ عهد
أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٥ م) لم تكف عن الرغبة في نشر
اطماعها في بلاد ما وراء النهر لما لهذه البلاد من ثراء ملموس
جعل الجغرافيين والرحالة أمثال اليعقوبي وابن رسته والقزويني
يسهبون في الحديث عن خصوبه هذه البلاد ووفرة مزارعها
ضمن كتاباتهم.

بخارى عند الجغرافيين المسلمين

بخارى.. حاضرة إقليم ما وراء النهر منذ عهد
السامانيين، تشير إليها كتب الجغرافيين المسلمين إلى
أنها كانت أعظم مدن العالم الإسلامي كله، بفضل ما
كانت تزخر به من منشآت فخمة، إلى جوار ما حباها به

الله من رونق وبهاء. ولقد أشاد الرحالة بذكر بساتين بخارى الفسيحة بثمارها. وناهيك بثمار البرقوق الذى تذيع شهرته منذ آلاف السنين حتى اليوم، فهو أقخر ثمر من نوعه بآسيا. ولم تكن بخارى تمتاز بخصائصها الطبيعية فحسب، بل كانت كذلك سوقا رئيسيا تلتقى فيه تجارة الصين وآسيا الغربية مع المشرق، فضلا عما كان بها من مصانع كبيرة للحرير والديباج والمنسوجات القطنية وأجود أنواع الأبسطة والمصنوعات الفضية والذهبية من كل نوع. وكانت كذلك مركزا مهما للصيرفة يستبدل فيها سكان آسيا الشرقية والغربية سكتهم بواسطة أهلها حتى لتسمع هناك إلى اليوم المثل القديم «أشد يقظة من سمسار بخارى». (٣٦)

الدمشقي

يركز الدمشقي على وصف الموقع الجغرافى للمدينة فيذكر أنها تلى سمرقند ويحيط بها قصور وبساتين وقرى ومسافتها اثني عشر فرسخا ويحيط بذلك كله سور واحد ولها ربض (أى ضاحية) يشقه - نهر الصغد

وهذا النهر قدر الفرات ينبعث من الجبل الأوسط من
جبال اليتم ويجرى حتى يحيط بها سور حصين ولها
قهندز خارج المدينة متصل بها ومقداره مدينة صغيرة
وفيه قلعة بها مسكن آل سامان ولها ربض والمسجد
الجامع على باب القهندز وليس بخراسان وما وراء النهر
اشد ازديحاماً من بخارى (٣٧).

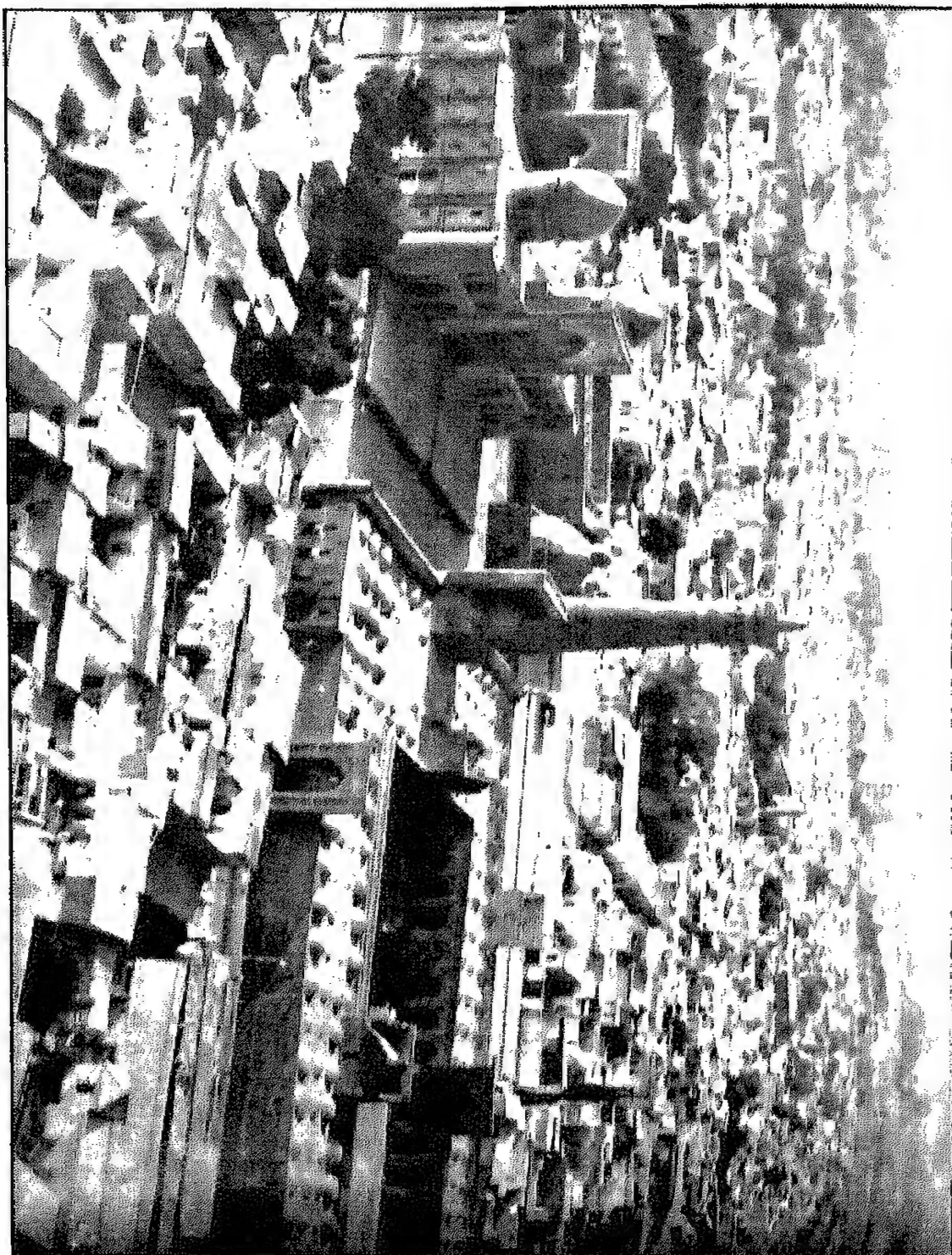
ياقوت

وصف ياقوت بالتفصيل موقع المدينة غير أن سحرها
قد سلب لبه، فنقل ما يلي عن أحد الجغرافيين المسلمين
وأما نزهة بلاد ما وراء النهر فاني لم أر ولا بلغني في
الاسلام بلدا أحسن خارجا من بخارى لأنك اذا علوت
قهندزها (مركز الحكم بالمدينة وهو اقرب إلى دار
الامارة) لم يقع بصرك من جميع النواحي الاعلى خضرة
متصلة خضرتها بخضرة السماء فكأن السماء فيها
خضراء مكبوبة على بساط أخضر تلوح القصور فيما
بينها كالنواوير فيها وأراضى ضياعهم منعوته بالاستواء
كالمرآة وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن

قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى ولا أكثر
عددا على قدرها فى المساحة وذلك مخصوص بهذه البلدة
لان منتزهات الدنيا صغد سمرقند ونهر الابله..
ويستمر فيصف المدينة نفسها بأنها على أرض مستوية
وبناؤها خشب مشبك ويحيط بهذا البناء من القصور
المساكن والمحال والبساتين التى تعد من القصبة (اى
مركز المدينة أو شارعها الرئيسى) ويسكنها أهل القصبة
شتاء وصيفا وسور آخر نحو فرسخ فى مثله ولها مدينة
داخل هذا السور.

وكانت معاملة أهل بخارى فى ايام السامانية
بالدراهم ولايتعاملون بالدنانير فكان الذهب كالسلع
والعروض.. وكان بسكتها تصاوير وهى من ضرب
الاسلام. (٣٨) ويعطينا وصف ياقوت الحموى صورة
واضحة لتخطيط المدينة فى الفترة الاسلامية الأولى التى
انتهت باحتلال المغول لها، فهى كمعظم مدن بلاد ما وراء
النهر تتكون من مدينة ذات سورين واحد خارجى يشمل
المدينة وضواحيها وآخر داخلى يضم مركز الحكم
والمسجد الجامع وبعض المنشآت الهامة وهو ما يطلق
عليه القهندز وهذا التخطيط نراه فى خيوة، وسمرقند

وعيرها من مدن آسيا الوسطى كما نراه فى مدينة بغداد
التي اختطها ابو جعفر المنصور كعاصمة للدولة العباسية
فهل تأثرت بغداد بهذا النوع من طراز تخطيط المدن هذا
ما أرجحه. وقد وصف بخارى أيضا عدد كبير من
الجغرافيين المسلمين ولكنهم لم يضيفوا اضافات ذات
بال كالقزويني^(٣٩) والحميري^(٤٠). غير وصف دخول
المغول المدينة وما آل إليه حالها بعد هذا الغزو.



منظر عام لمدينة بخارى

بخارى .. المدينة الحية

بخارى .. مدينتى التى أحبها ويحبها كل مسلم .. كم مرة تعرضت لمحنة .. ولكنها هى المدينة الصامدة .. المدنية الحية .. التى سرعان .. ماتنفض الغبار عن كاهلها .. غبار الهزيمة والمحنة .. وتحيا من جديد لتكون قبلة أهل الاسلام .. ومدينة العلماء ..

المحنة الاولى

مرت على بخارى بعد سقوط الطاهريين (وهم كانوا يحكمون تحت ظل الخلافة العباسية) نفس الظروف القاسية التى مرت بها مدن ما وراء النهر، فلم تعرف حاكما قويا يبعث الطمأنينة فى نفوس الأهالى، وفى بداية عام ٨٧٤م وصل إلى بخارى قادما من خوارزم الحسين بن طاهر الطائى، ويرى بارتولد المؤرخ الروسى المعروف أنه ينتمى لأسرة الطاهريين، وقد قاومة الأهالى ولكنه استطاع بعد قتال دام خمسة أيام أن يستولى على

المدينة، فارتكب جنوده الخوارزميون كل ضروب الفساد وأحرقوا قسما كبيرا من المدينة. وقد وعد الحسين الأهالي بالعفو التام، فلما أطمأنوا إلى وعده وتفرقوا عاد فنكت بقوله فانفجرت الثورة من جديد وحوصر الحسين في قصره واضطر إلى الهرب ليلا تاركا وراءه المال الذي كان قد جمعه من الأهالي فتقاسمه الثوار فيما بينهم .

«واغتنى منه أناس كثيرون فظل أثر هذا في أعقابهم» . وبعد رحيل الحسين تجددت الاضطرابات والفتن ببخارى فاجتمع أهل العلم والصلاح حول أبي عبد الله بن أبي حفص الفقيه المشهور ، فنصحهم بأن يلتسموا العون من نصر بن أحمد الذي بعث إليهم بأخيه اسماعيل فلما بلغ اسماعيل كرمينيه خرج أبو عبد الله بنفسه لاستقباله وطمأنه كثيرا على مستقبله كما يروى المؤرخون ومنذ^(٤١) أن دخل اسماعيل بخارى صار أميرا لها قامت دولة السامانيين بها.. وشهدت أكثر عهودها ازدهارا.

المحنة الثانية

المغول.. المغول اسم آثار الرعب فى بلاد ما وراء النهر. فهم أصحاب المذابح البشرية الرهيبة التى أقاموها لاهالى هذه البلاد.. فماذا فعلوا ببخارى.

فى عام ١٢٢٠م.. زحف جنكيزخان إلى بخارى بعد أن أحرز انتصارات باهرة فى طريقة إليها. وكان أول ظهوره فى اقليم المدينة ببلدة سرتاق إلى الشمال من بخارى بوغت سكان هذه البلدة الصغيرة بظهور المغول عندها قادمين من الصحراء وكأنهم قد سقطوا عليها من السماء فلم يدركوا مدى الخطر الذى أقبل عليهم وأخذوا يستعدون للمقاومة فعلا. حتى اذا ما أقبل عليهم رسول المغول، على الرسم المعتاد، وبين لهم ما سوف يتعرضون له من سيوف الأعداء ونيرانه رأوا آخر الأمر أن السلامة فى الاستسلام. أما من كان يحمل منهم السلاح فقد ضم إلى الجيش الفاتح قسرا، كما سوى حصن المدينة بالأرض، وأما السكان المسلمون الذين كانوا قد خرجوا إلى ظاهر المدينة بخيولهم ونبالهم فقد أذن لهم بالعودة إلى ديارهم سالمين. وما غدا المغول من بعد ذلك

أن اطلقوا على المدينة اسم قتلُق بالق «المدينة السعيدة» بدلا من سرتاق. وكان ثانى مكان استولى عليه جنكيز فى منطقة بخارى. ومن بعد ذلك توجه إلى بخارى فنزل بظاهرها أوائل المحرم من عام ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م وبدأ من فوره يعالج متاريس حصنها الخارجية. ولم تكن بخارى، وقد بلغها فى الغالب أخبار المجازر التى جرت من قبل تمهيدا لمعركتها الكبرى، غير مستعدة بالكاد لهذا الهجوم العنيف الذى كان عليها أن تواجهه. وكان بداخل أسوارها عشرون ألف رجل عليهم كوكخان (وكان من مهاجرى المغول أو من الأويغور فى الغالب) وسوينج خان وكشلى. ومن الصعب أن نتصور مدى ما كان هؤلاء يظنون أنهم قادرون عليه بازاء المغول الذين كانوا يتفوقون عليهم بمئات ومئات. على أية حال فقد بادروا بالهجوم على أعدائهم ولكنهم سحقوا عن آخرهم الا قليلا منهم استطاعوا أن يفرّوا إلى المدينة، ليسارع الأهليون عند ذلك، وقد أخذ منهم الرعب مأخذه، بارسال وفد من أعيانهم يسألونه الصّبح، وصحب هذا الوفد الفاتح المغولى فى دخول المدينة.

ولفت نظر جنكيز لدى ولوجه فيها المسجد الجامع
الفخم، وكان السامانيون قد بذلوا فيه كثيرا من الأموال
ليبدو في أروع صورة، فدخله بفرسه ووقف بازاء المنبر.
وظنه أول الأمر قصر السلطان. حتى اذا ما قيل له بأنه
دار عبادة نزل عن دابته ورقى بضع درجات بالمنبر ثم دعا
المغول الذين كانوا يقفون من خلفه إلى أن يطعموا
خيولهم وكان العلف قد أعد ولنا أن نتصور كيف تلقفوا
الاذن لهم باعمال النهب في المدينة بمسرة بالغة، وكيف
سقط من بعد ذلك هؤلاء الهمج على مدينة بخارى
البائسة . وسحر البابهم ما كانت عليه عاصمة بلاد ما
وراء النهر هذه من الترف، فلم يكتفوا بنهب كل دار وكل
قمطر بل حملوا معهم كل ما صادفهم من أنواع المتاع
فلم تغلت من أيديهم الآثار المقدسة مع قلة قيمتها المادية،
فمزقوا المصاحف واتخذوا من أوراقها فرشاً لدوابهم،
وجعلوا من قمطراتها وصناديقها مذاود لخيولهم.

وسيق كبار الشيوخ والعلماء البارزون ليقوموا بخدمة
الجند في مجالس الشراب أو ليؤدوا لهم الرقصات، وفق
رسم المغول، على توقييع الآلات الموسيقية، وكان من

هؤلاء الفقهاء الأجلاء من دفع به كذلك ليسوس البغال.
هذا هو ما وصل إلينا من تدوين المؤرخين المسلمين فى
هذا الشأن. وقد يكون هناك بعض المبالغة فى وصف ما
عمد إليه المغول من امتهان شعور القوم الدينى، إلا أنه ما
من شك فى أن بخارى قد تعرضت لمعاملة بالغة القسوة
ومرت فى تجارب مريرة خلال هذا الغزو.

لم يمكث جنكيز خان بالمدينة الا ساعات قليلة. ثم
خرج إلى المصلى بظاهر السور حيث كان الناس جميعا
قد جمعوا له، فسأل عن أعيانهم، فبرز له من بينهم
ثمانون ومائتان فيهم تسعون ومائه من أهل المدينة
وتسعون من الغرباء هم تجار فى الغالب. هنالك التفت
إليهم وأخذ يندد فى شدة بما يرتكبه السلطان محمد
خوارزمشاه من مظالم ليقول لهم من بعد ذلك:

«اعلموا انكم قد اقترفتُم كثيرا من الآثام وأن وزرها
أنما يقع على أمرائكم، وإذا سألتُمونى عمن اكون أنا الذى
أخاطبكم فاعلموا أنى أنا سوط الله الذى بعثنى إليكم،
لأنزل بكم عقابه، وأريد منكم النقرة (أى النقود) التى
باعكم خوارزمشاه أياها فانها لى ومن أصحابى أخذت

وهى عندكم» .

ولم يفته من بعد ذلك أن يعهد إلى حرس نصفه من الأتراك والنصف الآخر من المغول ليقوم على حراسة أعيان المدينة حتى لا يلحق بهم ضرر أو أذى. وظلت الأمور تجرى على هذا الحال حتى ظهر بالمدينة نفر من جند السلطان محمد كانوا مختبئين بها، فأزعج ظهورهم جنكيز خان وأمر بالقبض عليهم وتسليمهم له. على أن أهل بخارى كانوا أبعد ما يكون عن أن يلبوا رغبة ذلك الفاتح، فلم يتستروا عليهم فحسب بل وساندوهم كذلك فى غاراتهم الليلية وكذلك ما كانوا يدبرون من التامر بالعدو فى السر، حتى نفذ صبر جنكيز آخر الأمر فأمر بإشعال النار فى المدينة. ولما كانت أبنية بخارى أغلبها من الخشب، لم تمض أيام قليلة حتى تحولت كلها إلى رماد. اللهم إلا بعض مساجد وقصور مبنية بالحجارة ظلت قائمة بين خرائبها. وانقلبت هذه المدينة العامرة إلى كومة من الأطلال على زرفشان، ومع هذا فقد ظلت الحامية بالقلعة يقودها كوكخان تدافع عنها فى بسالة جديرة بالاعجاب. وعمد المغول إلى استخدام كافة الوسائل الممكنة لاختضاع ملاذ أعدائهم الأخير هذا، حتى دفعوا

بالبخاريين أنفسهم إلى تسلق سلالم الأسوار، ولكن لم يجدهم ذلك كله فتيلًا. ولم تسقط القلعة الا بعد أن امتلأ الخندق المحيط بها بجيف الرجال والدواب هنالك سيق المدافعون الأبطال إلى الموت. وتعرض السكان المسالمون بدورهم إلى البلاء بسبب هذه المقاومة الفذة، فقتل منهم ثلاثون ألفًا واسترق من بقى منهم، خاصتهم وعامتهم على السواء، الا الطاعنين فى السن منهم. وهكذا انتهى حال أهل بخارى إلى أحط درجات البؤس والشقاء وفرقوا فى الأرض وهم الذين ذاع صيتهم زمنا طويلا بما كانوا عليه من كلف بالعلم والفنون، وما شاع عنهم من مكارم الأخلاق. وأفلتت قلة قليلة من السكان من هذا الخراب الشامل. وبلغ واحد من هؤلاء فى فراره خراسان وحين سأله الناس عما صار إليه أمر مدينته أجابهم عن ذلك بأن أنشد ذلك البيت البليغ من الشعر الفارسى الذى اشتهر من ذلك الوقت.

آمدند وكنند وسوختند

وكشتند وبردند ورفتند

قدموا قدمروا وحرقوا

وقتلوا ونهبوا ثم رحلوا

ويصف ابن الأثير هذا الحال فيقول:

«كان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان، تفرقوا كل أيدي سبيا وتمزقوا كل ممزق ، واقتسموا النساء أيضا، وأصبحت بخارى خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس، وارتكبوا من النساء العظيم والناس ينظرون ويبكون ولا يستطيعون أن يدفعوا شيئا مما نزل بهم. فمنهم من لم يرض بذلك فقاتل حتى قتل، وممن فعل ذلك واختار أن يقتل ولا يرى مانزل بالمسلمين الامام ركن الدين امام زاده وولده القاضي صدر الدين خان، ومن استسلم أخذ أسيرا» (٤٢).

ونهضت بخارى سريعا بعد استيلاء المغول عليها، بل ووصلت في خلال الثلاثين سنة الاولى من حكمهم إلى درجة من الازدهار لم تبلغها من قبل. وقد وصفها الجويني فأكد أن لامثيل لها في العالم الاسلامي. ولم تؤثر الثورة التي قامت بها ضد المغول ١٢٣٨/١٢٣٩م، على عمراتها وازدهارها فقد استطاع محمود يلواج أن يقنع المغول وبخاصة او كتاي بان لاصالح للدولة في تدمير مدينة غنية كبخارى ثارا لجرائم بعض المتمردين، غير أن المغول دمروا عن عمد المدينة سنة ١٢٧٣م (اي في عهد أباقا خان) لأنهم توهموا أنها قد تصبح قاعدة لهجوم يقوم به خصومهم من تركستان ليستولوا على

ايران.(٤٣) وسرعان ما استردت المدينة مرة أخرى
عمرانها.

التسلل الروسي

وصفت بخارى فى القرن التاسع عشر بأنها من أعظم
مدن آسيا وقاعدة خانية بخارى، سكانها ١٠٠٠٠٠٠ وقيل
يبلغون ١٥٠٠٠٠٠ وهى فى وسط سهل خصب يحيط بها
سور ذو بروج وله ١١ بابا ويبلغ محيطه من ١٢ إلى ١٤
كم وارتفاعه ٨ أمتار فى سمك مثله. وفيها كثير من الأبنية
الحسنة و ٢٦٠ جامعا ومسجدا أو نحوذلك و١١٣ مدرسة
يدرس فى بعضها الفقه والحديث والطب. وفيها ٢٨ خانا
و ١٥ سوقا و ١٦ حماما و ٦٨ بئرا وهذه الآبار كثيرة
الطول والعرض قليلة العمق وأحسن جوامعها جامع فى
ساحة راجستان أمام قصر الخان مساحة موضعه ١٠٠
متر وعلوقبته ٦٠م. وفى وسط هذه المدينة رابية تسمى
نومشكند يبلغ علوها من ٦٧ إلى ٨٠ مترا ويحيط بها
جدار وعليها قصر الخان وهو قديم بنى منذ عشرة قرون
أو أكثر، وجامع ولعلها القهندز (أى مركز الحكم) وفى

هذه المدينة معامل لنسج القطن وحبوك الطواقي واصطناع ورق الحرير وهو معروف عندهم من سنة ٦٥٠ من الميلاد ومعامل للأسلحة ونقش الأقمشة وغير ذلك. وفيها تجارات واسعة إلى روسيا وإيران وكابل وغيرها (٤٤).

حكم سلسلة من الأمراء الأوزبك خانية بخارى في القرن التاسع عشر، وقد انغمسوا في الترف والرفائل، بل وفي حرب بعضهم البعض طمعاً في الأراضي واللقاب ولم يلتفتوا إلى الخطر الأجنبي الذي بدأ يجثم على بلا ما وراء النهر، فقد دأب الأمير مظفر الدين على مهاجمة ما يجاوره من أمارات، ولقد كان هذا الأمر مقبولاً لو أنه كان يرمى، من وراء هذا الفتح إلى توحيد قوات هذه البلاد مع قواته للوقوف في وجه الغازي الأجنبي عند حوض نهر سيحون الأدنى.

ولكن هذا الأمير يفتقد بعد النظر السياسي، إذ كان هدفه من عملياته هذه، التي أملت عليها طمعه الخرقاء وجشعه، أبعد ما يكون عن العمل على الحفاظ على مصالح المسلمين، فلم يجلب سلوكه هذا عليهم إلا الهزيمة.

لقد تعاون بعض المسلمين مع الروس كحكام القرغيز
أحيانا بينما صمدت حامية مدينة آق مسجد، وكان
الروس فى أول الأمر يشنون هجمات محدوده على حدود
المسلمين إلى أن تدريبوا على طبيعة الحرب فى هذه البلاد
فشنوا سلسلة من الهجمات المتتالية. ففي عام ١٨٥٢ م
خرج الكولونيل بلارمبيرج مع فرقة من الجند فى رحلة
استطلاعية نحو حصن آق مسجد، ودنا من أسواره فى
حفنة من رجاله. ولكنه فشل هذه المرة، وكرر المحاولة
العام التالى ونجح فى الاستيلاء على الحصن. ودافعت
حامية هذا الحصن دفاعا مجيدا، وكانت الفرصة مواتية
امام أمراء بلاد ما وراء النهر لاسترداد ما استولت عليه
روسيا من بلادهم، وذلك بين عامى ١٨٥٣ و ١٨٥٦ م حين
كان الروس قد وحدوا كل جهودهم وركزوا كل قواتهم
فى حرب القرم ضد الدولة العثمانية.

ووجدت روسيا فى أشد أوقات محنتها أن مستعمراتها
فى هذه البلاد فى أمن شديد، بالرغم من أن الدولة
العثمانية أرسلت مبعوثين لكل من أمراء خيوة وبخارى
لينبها أمراء هذه البلاد لتأمين سلامة بلادهم واستقلال

ديار الاسلام.. ولكن هيهات .. هيهات.. ولو أنهم التفتوا إلى ذلك الخطر الذى يتهددهم وتنبهوا له بالائتلاف معا اذ ذاك، لاستطاعوا بلا كبير عناء أن يستردوا ما ضاع منهم من حصون، بل وأن يطردوا الروس كذلك إلى مشارف السهوب الشمالية، كان الزعيم القرغيزى عزت كوتبير نجح فى القضاء على نفوذ الروس فى القبيلتين «الصفيرة والمتوسطة» ولا أدل على عدم ادراك خطر روسيا من قبل حكام بلاد ما وراء النهر من أنهم وقفوا موقفا سلبيا من هذه التحركات.

وأخذ الروس يتقدمون فى بلاد ما وراء النهر ويستولون على حصونها حصنا حصنا.. ومدنها.. مدينة.. مدينة، حتى أدرك مظفر الدين أمير خانية بخارى أنه قد آن الأوان لكى يعيد النظر فى سياسته ويقيم بعض العراقيل فى طريق جيش الاحتلال الروسى. فخرج أولا إلى خوقند فى مايو ١٨٦٥م لتأديب القبجاق، وذلك على اثر شائعة كاذبة انتشرت فى بخارى مفادها أن هؤلاء بموقفهم السلبي، قد عاونوا الروس على تنفيذ خططهم. وكان هذا القول محض اختلاق فى الواقع، ذلك

أن القبجاق كانوا هم أنفسهم الذين قاوموا الروس ببسالة حتى سقط زعيمهم الشجاع عالم قل أمام طشقند. واستولى بعد ذلك مظفر الدين على خوقند الشرقية بسهولة.

وبعث برسالة مليئة بالغطرسة إلى الجنرال تشريانيف وهو الذى خلف الجنرال بيروفسكى فى قيادة الجيش الروسى، يدعوه فيها إلى اخلاء كافة الاراضى التى يحتلها الروس ويهدده بالحرب. وقام بمصادرة املاك التجار الروس فى بخارى. فهاجم الروس البخاريين عند اورنبيرج غير آبهين بتهديد مظفر الدين الذى ارسل خوجه نجم الدين فى بعثة صداقة إلى بطرسبرج ليشكو إلى القيصر اعتداءات قائدة. وكان الأمير يرمى من وراء ذلك إلى كسب الوقت حتى يستطيع القضاء على ثوار شهر سيزن. على أن الروس كانوا أشد دهاء منه فقد قبضوا على نجم الدين واعتقلوه فى حصن قزاله.

واستعجل الجنرال تشريانيف الحرب بعد أن قبض مظفر الدين على رسوله الذى ارسله لمعالجة الخلاف مع

البخاريين فعبر الصحراء لمهاجمة خانية بخارى ولكنه فوجيء باعداد غفيرة منهم مما اضطره إلى الانسحاب ، وعزل على أثر ذلك ثم تم تعيين الجنرال ديمتري رومانوفسكى بدلا منه ، وهو الذى قاد معركة يرجار ضد مظفر الدين والتي وقعت وقائعها فى مايو ١٨٦٦م وهزم فيها مظفر الدين وكانت هذه المعركة بمثابة الضربة القاضية لتركستان ، اذ ضاع بسببها استقلالها ونال المسلمون فى هذه البلاد بهذه الهزيمة ضربة مميتة . وسقطت سمرقند فى يد الروس فى ١٨٦٨م وبعد هذه الهزيمة وقعت معركة سربول بين مظفر الدين والروس على تاج بلاد ماوراء النهر .

وهزم مظفر الدين ، بهذا لم يكن للامير يد من عقد الصلح مع عدوه المنتصر ، فيحتفظ بذلك بظل الملك مابقى له من سنين ، على أن يدفع غرامة حربية قدرها مائة وخمسة وعشرون ألف تيل «نصف المليون تالر» ولم ينص الروس صراحة على أنها جزية محافظة منهم على شعوره .

وتعهد الأمير فى هذه المعاهدة بما يأتى ، أولا : أن

يسمح للرعايا الروس بممارسة التجارة فى حرية تامة بكل أجزاء الخانية بصرف النظر عن عقائدهم، وأن يؤمنهم على ممتلكاتهم وحياتهم، أن يسمح للتجار الروس بأن يقيموا وكلاء تجاريين لهم فى حرية تامة بكل أجزاء الخانية. أن يحدد الضريبة على الواردات الروسية باثنين ونصف بالمائة من قيمتها الاسمية، رابعا أن يسمح للتجار الروس بحرية المرور فى أراضي الخانية حين يقصدون ما يجاورها من البلاد.

نال مظفر الدين نتيجة لهذا الاتفاق عداوة مسلمى بخارى لمساندتهم ابنة ضده الذى اتخذ من قارشى ثانى أكبر مدن الخانية قاعدة له ودخل فى تحالف مع خان خيوة، وازداد تأييد الناس له حتى وجد نفسه بعد وقت قصير جدا على رأس جيش قوامه ما يقرب من عشرة آلاف رجل، ولم يكن مظفر الدين ليقف موقف المتفرج ازاء ذلك، فجمع بدوره ماتبقى له من قوات ضئيلة وزحف بها إلى قارشى ليكبح جماح ابنه. حتى اذا ما بلغ منتصف طريقة إلى هناك علم كذلك بقيام الثورة عليه فى القسم الشمالى من الخانية، وذلك بتدبير فى السر

من ولى العهد. وأدى ظهور ذلك العدو فجأة فى الشمال، مع مـالـاح من ازدياد الخطر فى تلك النواحي، إلى أن اصدر الأمير أوامره بالرجوع وجد فى السيرالى عاصمته، وتشجع ولى العهد بارتداد ابيه هذا فعزم على مطاردته، وكان من الممكن أن ينجح فى خطته هذه لو لم يتدخل الروس بطلب من الامير، وهكذا يكرر التاريخ نفسه فى بخارى مرة أخرى فكما استعان مسلمو الأندلس بالنصارى ضد بعضهم البعض استعان مظفر الدين الروس ضد ابنه المسلم الثائر عليه لتخاذه فى مقاومة الاعداء، وكانت النتيجة الطبيعية سقوط الاندلس وسقوط بخارى ولم تكن الاضطرابات فى بخارى ترضى الروس، فرصدوا لذلك قوة بقيادة الكولونيل ابراموف Abramoff استطاعت أن توقف تقدم ولى العهد عند جام.

وتمكن مظفر الدين فى الوقت نفسه من أن يتخلص من صادق باى فى النواحي الشمالية الشرقية اذ أنزل به هزيمة تامة، ثم ذهب من بعد ذلك ينشد تعاون الروس معه حتى يستطيع بذلك أن يقر الأمور فى الجنوب حيث

شهر سبز التي ثارت في وجهه، وابنه الذي خرج عليه. وأجابه الروس إلى ما طلب، فسار الكولونيل أبراموف من جام مع فرقة استطلاعية لهذا الغرض. وسبق هذا القائد الأمير في زحفه بأميال قليلة، فالتقى بقوات ولي العهد فهزمها وشتت شملها، واستولى الروس على قارشى، ثم أدخلوها بعد يومين وسلموها للأمير هي وقلعتها وكل ما كان بمخازنها من أسلحة، والدهشة تعقد لسان أهلها من هذا الصنيع. وارتأى مظفر الدين أن يفيد كذلك من الروس في حربه ضد شهر سبز، غير أن الروس بعثوا بجنودهم إلى معسكرهم الشتوى في جام. وقاوم ولي العهد الروس، حتى قتل في خيوه. وفي ٣ نوفمبر من عام ١٨٦٩م قدم مظفر الدين هدايا وفروض الطاعة لقيصر روسيا وكان من جملة هداياه، خاتم له حجر ضخم من الماس، وعمامة للسيدات مرصعة بالحجارة الكريمة ومجموعة من أطقم الخيل من الفضة المرصعة بالياقوت^(٤٥) وفي عصر عبد الأحد (١٨٨٥م-١٩١٠م) تم قبول أن يكون نهر «ينج» حدا فاصلا بين خانية بخارى وأفغانستان وذلك من خلال معاهدة أبرمت بين بخارى

وروسيا. وفي عام ١٨٨٧ تم انشاء خط سكة حديد على اراضي
الامارة، ولكن محطة بخارى كانت على بعد ١٦ كم من
المدينة، وذلك في المكان الذي يسمى اليوم «فاكان». وتم اسكان
الروس بشكل سريع جدا على طول الخط الحديدي وسواحل
نهر جيحون حتى إنه في عام ١٩١٤ كان مالا يقل عن
خمسين ألفا من الروس يسكنون خانية بخارى. وكانت هذه
بدايات محاولات الروس تغيير التركيب السكاني للمنطقة. وفي
عام ١٩١٠م أصبح مير عالم ابن عبد الأحد أميرا على
بخارى. ومير عالم الذي تلقى تعليمه في سان بطرسبرج هرب
إلى أفغانستان بعد الثورة البلشفية في عام ١٩١٧م وتوفي
هناك.

واحتل الحمر بخارى في مارس ١٩١٨م ولكنهم اضطروا
للانسحاب بعد سلب ونهب وتدمير استمر يوما ونصف
اليوم، وفي نهاية أغسطس ١٩٢٠م تم استبعاد عالم خان
آخر أمير للمدينة من العرش بعد احتلال الجيش
الأحمر للمدينة. وفي اكتوبر ١٩٢٠م الغيت خانية

بخارى. وفقدت بخارى منذ ذلك الحين مكانتها كعاصمة
ورونقها كواحدة من مدن ديار الإسلام..

وهاهى بخارى قد عادت اليوم مرة أخرى إلى ديار
الإسلام.. وكلنا أمل أن تعود إلى رونقها مرة أخرى^(٤٦).

خطط بخارى وآثارها الباقية

تكونت مدينة بخارى كباقي مدن بلاد ماوراء النهر من مدينتين واحدة داخلية ويضمها سور داخلي يحوى أهم منشآت المدينة الدينية والادارية والتجارية وسور خارجي يضم ارباض المدينة وبين الاثنين القلعة التى تضم قصر الحكم ويطلق عليها فى بلاد ماوراء النهر القهندز. ويطلق على القسم الداخلى من المدينة الشهرستان، ويقع القسم الداخلى والقلعة على مرتفع من المدينة، وابواب سور الشهرستان يبلغ عددها سبعا كان أشهرها بابا القلعة، الباب الجديد، باب العطارين، باب السوق، أما سور الریض او السور الخارجى فقد بنى فى العهد الإسلامى فى عام ٢٣٥ هـ / ٨٤٩-٨٥٠م، وكان كما هو الحال مع اسوار المدينة التى ظل جزء كبير منها باقيا مكونا من أحد عشر بابا، هى قرا قول، شيخ جلال، نمازگاه، سلخانه، كوله، مزار، سمرقند، امام، او غلان، طليج، شيركيران.

هذا السور اعاد بناءه ارسلان خان محمد فى القرن
١٢م، ثم اعاد بناءه

فيما بعد قليج طمفاج خان مسعود عام ٥٦٠ هـ/١١٦٥م، وفى بداية القرن الثالث عشر أعاد بناءه خوارزمشاه محمد. وقد زودت المدينة بشبكة من قنوات المياه لرى أراضيها وتوفير مياه الشرب بها وذلك من قناة رئيسية تعرف باسم رودزر أى نهر الذهب، تخرج منها مجموعة من القنوات الصغيرة تتشعب داخل المدينة لتوفر احتياجاتها من المياه^(٤٧).

وأقدم أسواق بخارى التى مازالت باقية إلى الآن سوق لابی خاوز، وقد سمي على اسم بركة مياة يبلغ طولها ٤٢ مترا وعرضها ٣٦ مترا، وعمقها ٥ امتار، حفرت عام ١٦٢٠م واعيدت حاليا إلى حالتها الاصلية، ويحيط بهذا السوق مجموعة من المباني الرائعة منها نادر ديوان بيجى خاناكاء، مضيقة الحجاج، وقد بنيت على الجانب الغربى عام ١٦٢٠م، ومدرسة كوكلداش على الجانب الشمالى.

ومن هذه المنطقة تتشعب اسواق بخارى ومنها تاكى

زارجارون أو سوق الصياغ اى صناع المجوهرات وسوق
تاكي تلباك أو سوق باعة الطواقي وسوق سارافون الذى
يتمركز فيه تجار العملات، وقد بنيت كل هذه الاسواق
فى القرن ٩هـ / ١٥م وهى تمتد من لابی خاوز إلى
ريجستان الساحة الرئيسية بالمدينة^(٤٨).

ويطلق على السوق ببخارى باكات (بواكى) وسوق
الصاغة عبارة عن قبة رئيسية ذات ضلوع مقامة على
قاعدة من ثمانية اضلاع يوجد بها ١٦ نافذة وحولها قباب
أخرى ذات ارتفاعات متنوعة والسوق مربع الشكل وهو
يقع عند تقاطع شارعين رئيسيين ويبلغ عدد مداخل هذا
السوق أربعة ذات بوابات متأثره بالعمارة الفارسية، وقد
راعى المعمار ارتفاع حرارة الجو فى هذه البلاد، فالسوق
من الداخل يوفر درجة حرارة مناسبة وتعطى جوا
منعشا لزائريه ويضم هذا السوق ٣٠ ورشة ومحلا
للمجوهرات. وسوق الطواقي له خطة ذات ست اضلاع
حيث أنه يقع عند تقاطع خمس شوارع تلتقى عند زوايا
متعددة. ولقد وضع المعمار ذلك فى حسبانته عند تخطيط

هذا السوق.^(٤٩) لقد تبقى إلى الآن فى بخارى ١٤٠ أثرا معماريا من أندرها خزان المياه^(٥٠) ولذا تعد بخارى متحف كبير للتراث المعمارى الإسلامى.

وأشهر المباني المعمارية الباقية ببخارى والتي تعكس تطورا معماريا تم على أيدي المسلمين ضريح السامانيين الذى شيد فى الفترة بين عامى ٨٩٢ و٩٠٧ على يد اسماعيل السامانى، والضريح تعلوه قبة ترتكز على رقبة تبدأ بثمانية أضلاع وتنتهى بستة عشر ضلعا فى أركانها أربع قباب صغيرة، والشئ المميز لهذه المنشأة هو الاستعمال الرائع لقوالب الطوب كعنصر بنائى وزخرفى فاستخدام الطوب بهذه الخاصية يضيف نوعا من الرقة غير التقليدية على جدران سمكها يصل إلى ١,٨٠ م.

ومن المعروف أن القباب الضريحية من المنشآت التى حرمها الشرع الشريف، وقد رمم هذا الضريح فى عام ٣٤٤ م وأقيم حوله منتزه عام^(٥١).

لقد ظلت بخارى عاصمة فى عهد القراخانيين وساعد

وقوعها على طريق القوافل الدولى على رفاهيتها
اقتصاديا وانعكس ذلك على مستواها المعمارى. ومازالت
البوابة الجنوبية الرائعة لآحد مساجد القرن ٦ هـ / ١٢ م
باقية إلى اليوم ويقوم فى مكان هذا المسجد الآن مسجد
مغاك عطارى، وقد جمعت بوابة هذا المسجد كافة الفنون
الزخرفية فى بخارى من الاوضاع المختلفة للطوب
الصفير واللى تعطى تشكيلات رائعة للواجهة، إلى
الفخار ذى النقوش الزخرفية، وإلى الحفر على المرمر
بزخارف نباتية وهندسية وكتابية (٥٢) .

وكانت لمسجد نمازگاه ٦ هـ / ١٢ م ببخارى فى بادئ
الأمر مساحة كبيرة فسيحة ومغروسة بالاشجار فى
ضاحية المدينة شأنه شأن جميع مساجد هذا الطراز
المخصصة لاداء فريضة الصلاة فى عيدى الفطر
والاضحى اللذين يتوافد فيهما اناس كثيرون إلى الصلاة،
وكان المصلون يصلون فى ظل الاشجار، وهذا النوع من
المساجد عرفته كل مدن العالم الاسلامى تأسيسا بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى خصص ساحة
خارج المدينة المنورة لصلاة العيدين، وفى القرن
٦ هـ / ١٢ م لم يكن يوجد بمسجد نمازگاه سوى حائط

واحد «الحائط الغربى فى المسجد الحالى» مع المحراب.
وهذا الحائط مزخرف بطوب صغير من اللون الضارب
إلى الحمرة والصفرة وزخرف برسوم هندسية وبكتابات
وهذا النوع من الزخرفة يتصف به ذلك العهد. والكتابة
التي تحيط بالمحراب تكرر مرات كثيرة هاتان الكلمتان
(الملك لله) أما الكتابات الزخرفية على تجويف المحراب
فتتضمن أسماء النبی والخلفاء الراشدين.

وتبقى ببخارى من آثار القرن ١٢م مئذنة كلان التي
أقامها ارسلان خان سنة ١١٢٧م. وزينت هذه المئذنة من
اسفلها حتى اعلاها بالطوب المزخرف بمهارة عالية.
ويبلغ ارتفاعها ٤٦,٥ م. وفى داخل المئذنة يؤدى سلم من
١٠٤ درجة إلى الطرف المستدق اعلاها، الذى يشكل فى
نهايته ١٦ عقد، اعلاها صفوف من المقرنصات التي تبرز
ككورنيش يحلى نهاية المئذنة وكذلك اسفلها صف من
المقرنصات ينبىء عن بدء دورة المؤذن. والذى ينادى من
خلال العقود الستة عشر اهالى المدينة إلى الصلاة.

أثر اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح على
اقتصاديات بلاد ماوراء النهر فقد قلص نطاق تجارة
القوافل بين الشرق والغرب، ووجد فى تلك المدة الخان
الاوزبكى الشيبانى بلاد ماوراء النهر فى دولة واحدة.

ولم تبلغ اعمال البناء فى عهد الشيبانيين مهما كانت
نشيطة مقاييس اعمال البناء فى القرنين الرابع عشر
والخامس عشر، ومن اكبر المنجزات التى احرزها فن
المعمار فى القرن ١٦ م هو تطويره بناء القباب بأشكال
تصميمية جديدة مما ادى إلى ايجاد اساليب جديدة فى
تزئيتها، واستعملت بلاطات القاشانى المربعة على نطاق
واسع فى زخرفة الجدران الداخلية والخارجية للمنشآت ،
ويعتبر مسجد كلان ببخارى والذى اعيد بناؤه ما عدا
المئذنة عام ١٥١٤ م طفرة معمارية بمقاييس ذلك العصر.
وكان هذا المسجد مخصص لصلاة الجمعة، والمسجد
ملحق به باحه واسعة محاطة بأروقة ذات قباب ترتكز على
اعمدة حجرية وكان المصلون يستظلون فى الاروقة .
والمسجد من الداخل مسقوف بـ ٢٨٨ قبة .

ويتسع هذا المسجد لـ ١٠,٠٠٠ مصلى، واذا اردنا أن
نأخذ صورة لمدينة بخارى فلا بد أن يبرز فيها المسجد
بقبته الرئيسية الزرقاء التى ترتفع فوق المسجد لتشكل
مع المئذنة منظرا رائعا قلما نشاهده فى مكان آخر.

وتشكل مجموعة بوى كلان (قدم العظيم) مع مدرسة

ميرعرب التى تقابلها مجمعا للعمارة الاسلامية فى بلاد ما وراء النهر، هذه المدرسة التى شيدها الشيخ عبد الله اليمنى فى سنتى ١٥٣٥-١٥٣٦ م الملقب بميرعرب . وكانت هذه المدرسة تضم أكثر من مائة حجرة.

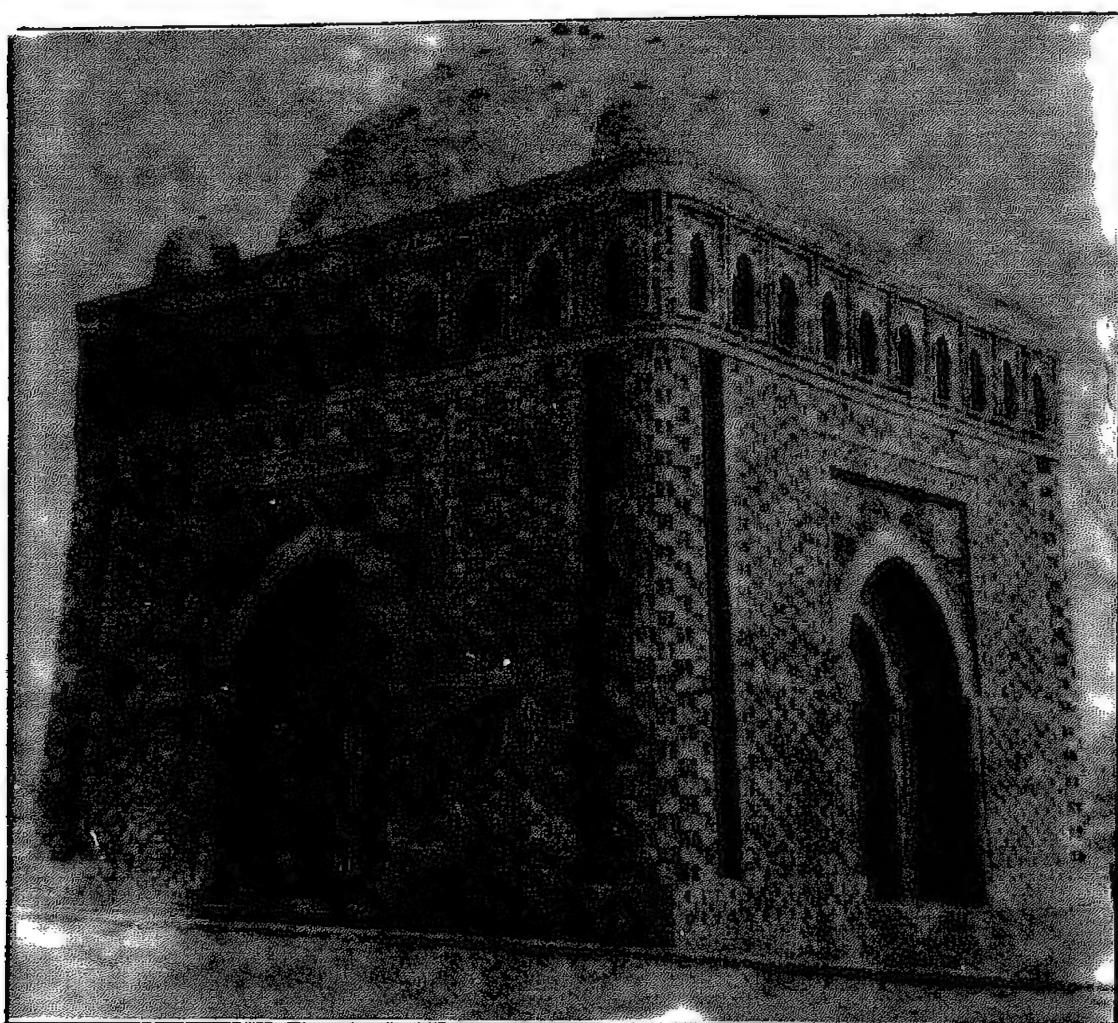
لقد شاع فى بخارى فى عهد الشيبانيين انشاء منشآت معمارية متقابلة على غرار ما وجدناه فى ميرعرب وكلان، ويمثل هاتين المنشأتين مجموعة قوش ومعناها المدرستان وهما من انشاء عبد الله خان وتحمل احدهما اسم أمه مدرسة مادرخان (١٥٦٦-١٥٦٧ م) وتحمل الأخرى اسمه مدرسة عبد الله خان، وتمتاز مدرسة عبد الله خان عن مدرسة مادرخان المتواضعة الواقعة على جانب الشارع الآخر بالتخطيط الأكثر تعقيدا والسقوف المقببة، (٥٣) وكانت مساجد الاحياء تجمع أحيانا بين طرائق فن البناء الضخم وبين تقاليد فن البناء الشعبى الأمر الذى ساعد على بلوغ مزايا جمالية جديدة. ومن منشآت القرن السادس عشر يمتاز مسجد بلند فللمسجد رواق خارجى به أعمدة خشبية تحمل سقفاً خشبياً، وزين المسجد بالقاشانى

الأخضر ذا زخارف الزهور الرائعة والتي تتكامل زخرفيا مع الكتابات الموجودة بالمسجد، ومحراب المسجد زين ببلاطات القاشاني أيضا، أما السقف فهو من الخشب المحفور والمرصع بالزخارف الذهبية ويمثل مسجد بلند مسجد خواجه زين الدين. وكلاهما لا تقل قيمته عن أروع منشآت القرن الخامس عشر بسمرقند.

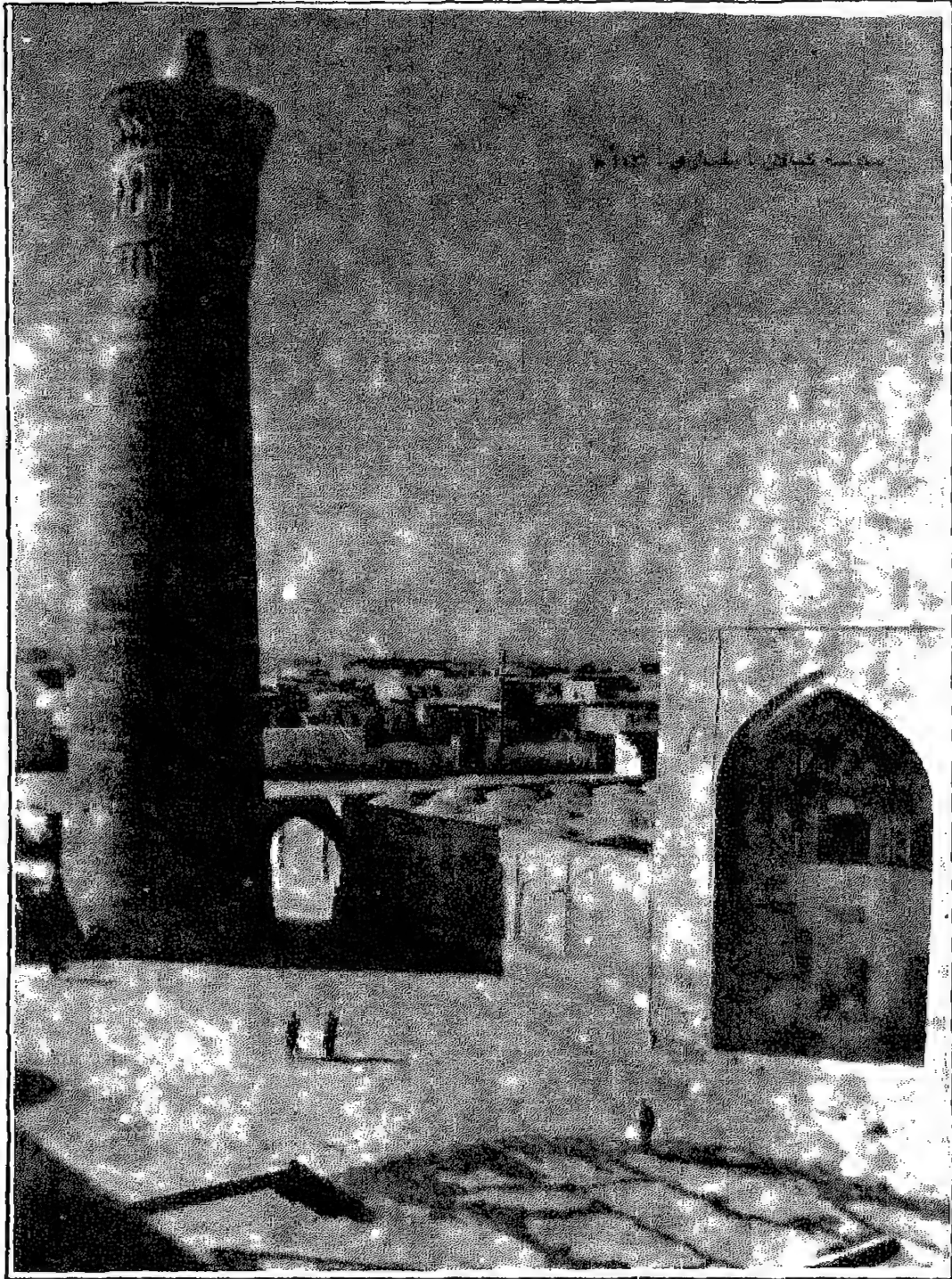
واكبر مدارس بخارى مدرسة كوكلداش (١٥٦٦-١٥٦٩م) وهي حاليا في حالة سيئة ، لان تشييدها جرى بعجلة واهمال وصممت قباب المدخل والقاعات الركنية بطريقة رائعة مع عقودها الحاملة لها وهي من المرمم.

وفي سنة ١٦٢٠م حفر حوض ماء لب، بأمر أحد كبار مسئولى بخارى وهو نادر ديوان بيكى. وكان الحوض يكسوه الحجر الجيري، وغرست حوله الاشجار ليشكل مع مسجد نادر ديوان بيكى مجموعة لب - حوض.

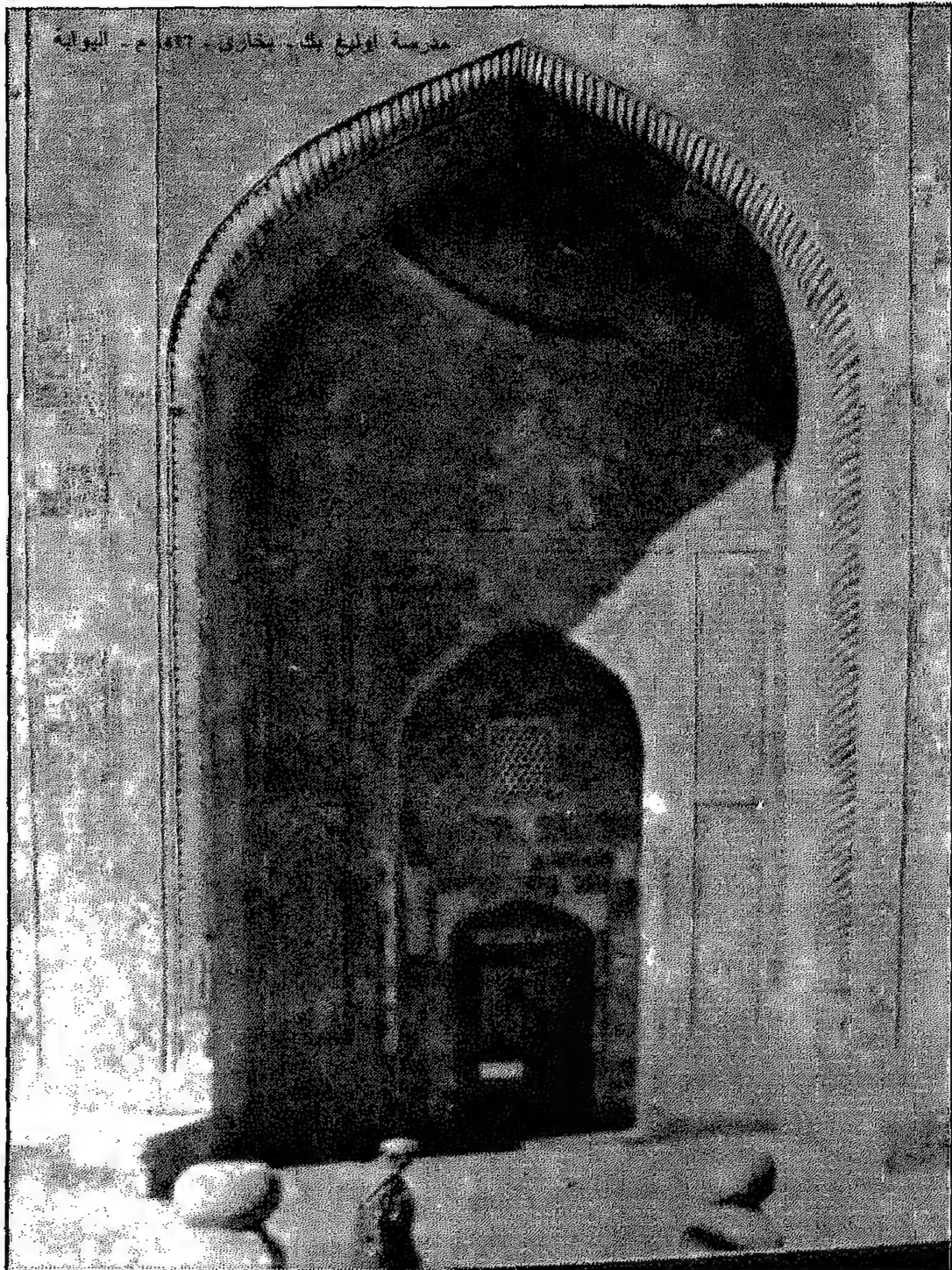
وتشكل مدرسة عبد العزيز خان (١٦٥٢م) المشيدة بعد مدرسة اولوغ بك في الجانب الاخر من الشارع منظرا معماريا رائعا، وخلافا لبساطة وتواضع الاشكال البنائية لمدرسة اولوغ بك نجد في اشكال بناء مدرسة عبد العزيز خان خاصة في الافراط في نزيين القسم الداخلى وفي عصر خانانية بخارى القرن ١٩م شيد قصر سيتارة ما هي خوسا وهو من القصور الباقية إلى الان بالمدينة.



ضريح السامانيين

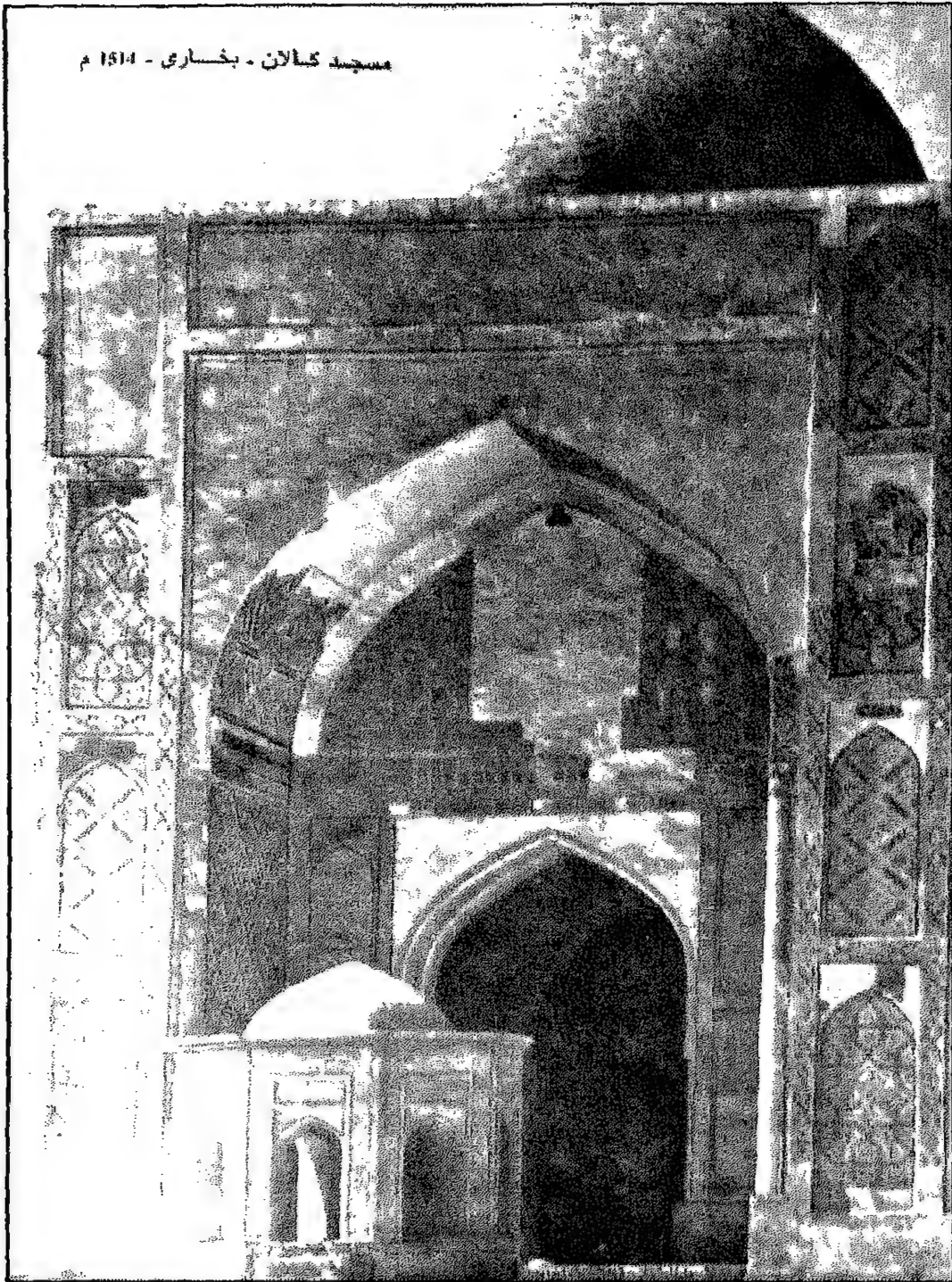


مئذنة كلان

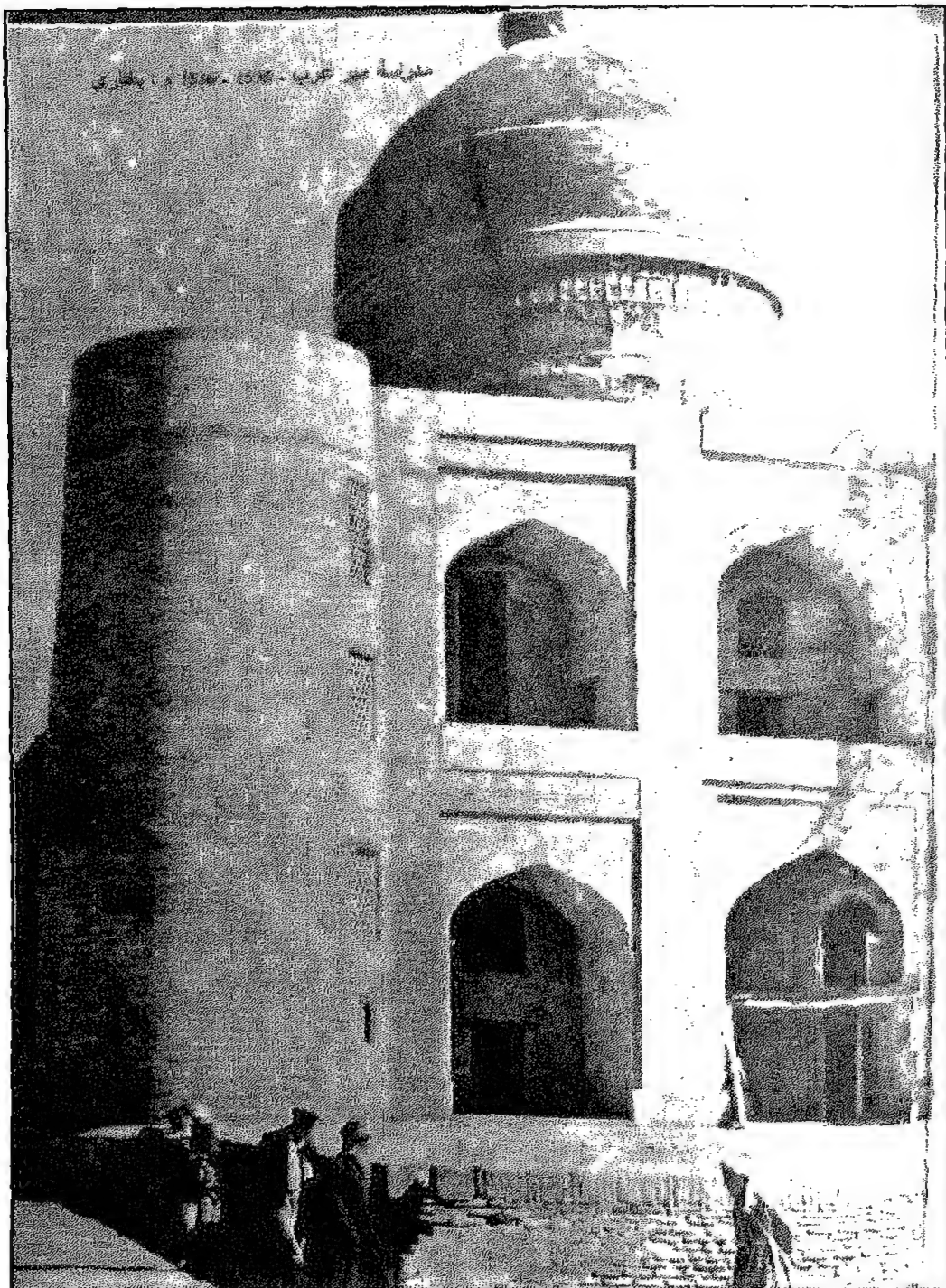


مدرسة اولوغ بك

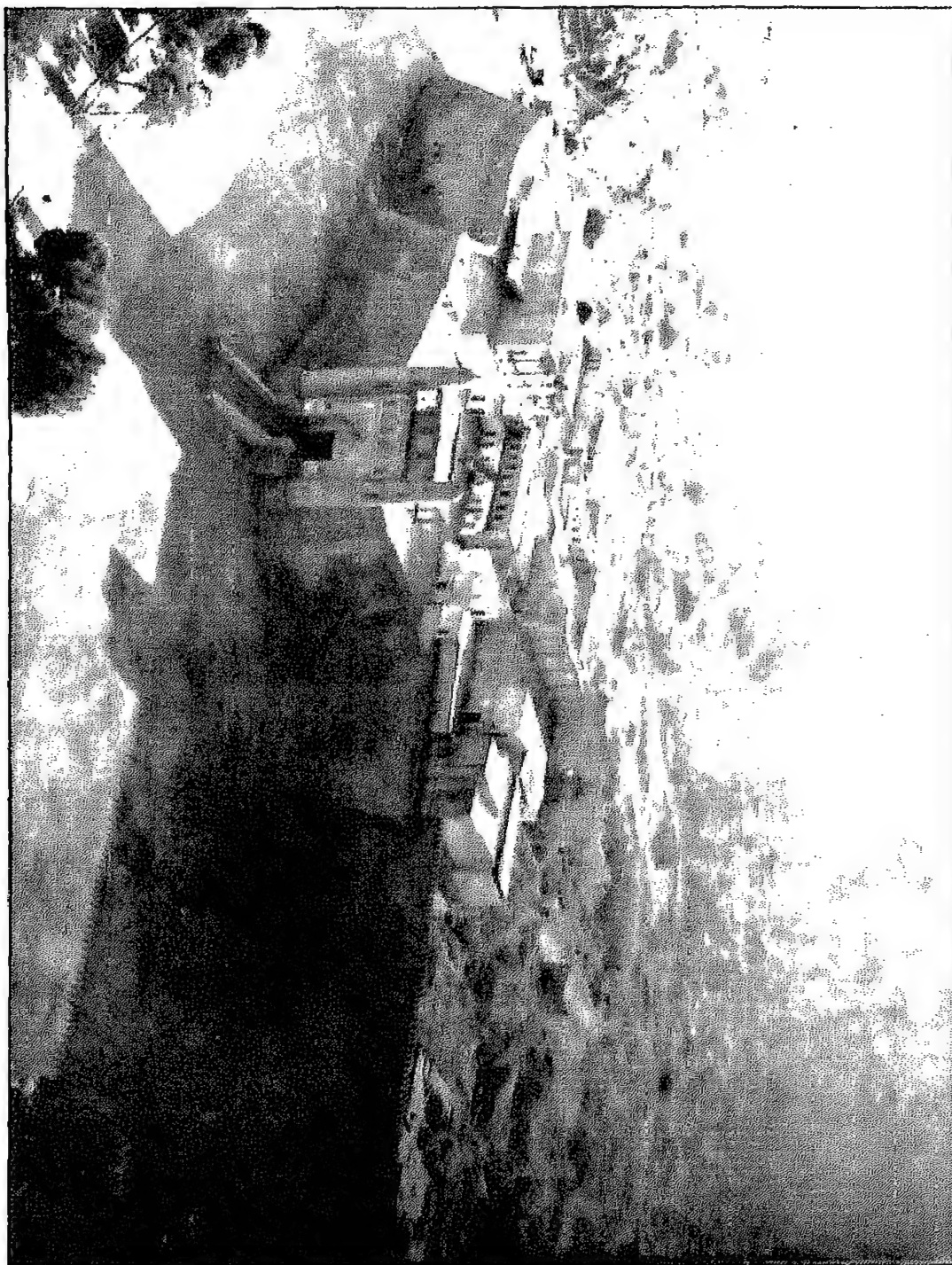
مسجد کلان - بخاری - ۱۵۱۴ م



مسجد کلان
۷۳



مدرستہ میر عرب



سور مدينة بخاري

المراجع

- (١) الاصطخرى، مسالك الممالك، ص ٣٠٥، بريل، ليدن ١٩٢٧ م. وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٩٢ دار مكتبة الحياة، بيروت.
- (٢) الاصطخرى، مصدر سابق، ص ٣١٥.
- (٣) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٣٩٣. مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٣ م.
- (٤) ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٣، ٥٠٤ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥ م الطبعة الثانية.
- (٥) المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٣٦٩ بريل، ليدن ١٩٠٦ م.
- (٦) الاصطخرى، مصدر سابق، ص ٣١٥.
- (٧) ار منيوس فامبرى، تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة احمد الساداتى ترجمة وتقديم يحيى الخشاب، ص ٢٢، ٢١. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٥ م.
- (٨) الاصطخرى، ص ٣٠٦، وابن حوقل، ص ٤٠١ د. محمد احمد محمد، بخارى فى صدر الاسلام، ص ٨٠٧. دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٢ م.
- (٩) د. محمد احمد، المرجع السابق، ص ٩

(١٠) النرشخى، تاريخ بخارى، عربه عن الفارسيه وقدم له، أمين عبدالمجيد، ونصر الله الطرازى، ص ١٨، ١٩ دار المعارف - مصر، ١٩٦٥ م.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) اسم جامع لبلاد الترك. محمد أحمد، مرجع سابق ص ٨، ٢٣.

(١٣) وصف النيسابورى الرساتيق بأنها مجموعة القرى أو المواضع الصالحة للسكنى. محمد أحمد، مرجع سابق، ص ٢٣.

(١٤) كمال السعيد حبيب، بخارى قبة الأسلام، ص ٢٨٨ مجلة شمس الأسلام، العدد التجريبي الثانى، ربيع الأول ١٤١٤ هـ ستمبر ١٩٩٣ م.

(١٥) كمال السعيد، المرجع السابق، ص ٢٩٠، ١٩١، ٢٩٢.

د. حسن أحمد محمود، الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى، ص ١٢٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨ م.

(١٦) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٤٠٧، مكتبة الهلال بيروت، ١٩٨٣ م.

(١٧) د. محمد أحمد محمد، مرجع سابق، ص ٨٨.

(١٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ح ٧، ص ١٦٧ مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٥ م.

(١٩) حول تقسيم مدينة بخارى بين العرب على عهد قتيبة بن مسلم، انظر، النرشخى المصدر نفسه، ص ٨٠، ٨١.

- (٢٠) المصدر السابق، ص ٧٠.
- (٢١) المصدر السابق، ص ٨٨، ٨٧، ٢٤.
- (٢٢) المصدر السابق، ص ٨١.
- (٢٣) المصدر السابق، ص ٧٥.
- (٢٤) ابن طباطبا، الفخرى فى الآداب السلطانية، ص ١٨٢، ١٨٣، القاهرة ١٩٢٧ م.
- (٢٥) د. محمد أحمد محمد، مرجع سابق، ص ٩٩.
- (٢٦) المرجع السابق، ص ٩٩.
- (٢٧) المرجع السابق، ص ٩٩.
- (٢٨) النرشخى، المصدر نفسه، ص ٣٠. المقدسى، مصدر سابق، ص ٣٧٨، ٣٧٥، ٣٧٤.
- (٢٩) المقدسى، مصدر سابق، ص ٣٧٧.
- (٣٠) النرشخى، مصدر سابق، ص ٧٤.
- (٣١) المصدر السابق، ص ٧٥.
- (٣٢) cres well, early Maslim arechitecture, vol,1,p.98,99.533.
- (٣٣) البيهقى، تاريخ حكماء الإسلام، ص ٥٣، ٥٢ تحقيق محمد كرد على، دمشق ١٩٤٦ م.

- (٣٤) النرشخى، مصدر سابق، ص ٣٠.
- (٣٥) بدر الدين الصينى، العلاقات بين العرب والصين، ص ٨: ١٢.
- (٣٦) فامبرى، مرجع سابق، ص ٢٥.
- (٣٧) الدمشقى (شيخ الربوة)، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص ٢٢٣.
- (٣٨) ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٢، ص ٨١.
- (٣٩) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٠٩: ٥١١، دار صادر، بيروت.
- (٤٠) محمد بن عبد المنعم الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، ص ٨٢، ٨٣، ٨٤ تحقيق د. احسان عباس، مؤسسة ناصر، بيروت، ١٩٨٢ م.
- (٤١) فاسيلى بارتولد، تركستان من الفتح الغربى إلى الغزو المغولى، ترجمة صلاح الدين هاشم، ص ٣٤٨، ٣٤٩ الكويت ١٩٨١ م.
- (٤٢) فامبرى، مرجع سابق، ص ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.
- (٤٣) د. فؤاد عبد المعطى الصياد، الشرق الاسلامى فى عهد الايلخانيين، (أسرة هولاكو) ص ٥٢، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، جامعة قطر، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- (٤٤) سليم الخورى وسليم شحادة، آثار الادهار، ج ١، ص ٧١٦، ٧١٨، ٧٢٠، بيروت ١٨٧٥ م.

(٤٥) فامبرى، مرجع سابق، ص٤٥٥:ص٤٨٧ . كمال السعيد حبيب،
الاسلام فى آسيا الوسطى، ص٤٠، ٤١ مؤسسة المدينة، مكتب القاهرة،
١٩٩٢م.

فيتالى نؤمكين، الأيام الأخيرة لامارة بخارى، بحث القى فى مؤتمر
«المسلمون فى آسيا الوسطى، ستمبر ١٩٩٣م. جامعة الأزهر.

د. محمود قشطه، الاحتلال الروسى للجمهوريات الاسلاميه السوفيتية
سابقا، ص١٥٧، ١٥٨. مؤتمر «المسلمون فى آسيا الوسطى، المحور
التاريخى جامعة الأزهر ١٩٩٣م.

(٤٦) د. عبد العزيز عوض، بخارى تحترق، ص٢٢٤، ٢٢٥ مؤتمر المسلمون
فى آسيا الوسطى، ح٣، المحور الحضارى والثقافى.

الكسندر بينتجسن، شاننال لوميرسييه، سلطان غاليف، ابو الثورة فى العالم
الثالث، ص٦٧، كتاب العالم الثالث، ١٩٩٢م القاهرة.

(٤٧) بارتولد، مرجع سابق، ص١٩٣.

Papado poulo, islam and muslim Art (٤٨)
p.527,Pairis,1976.

(٤٩) op,cit,527

(٥٠) نعمة الله ابراهيموف، الاثار الاسلاميه فى اوزيكستان، ص١١، ١٢
طشقند ١٩٩٢م.

oleg graber, islamic arhitctare and its decoration, (٥١)
يم1964, london p,49

(٥٢) عصمت عبد الله، الآثار الاسلامية التاريخية فى الجزء الأسىوى من
الاتحاد السوفيتى جامعة طشقند .

(٥٣) المرجع السابق.

To: www.al-mostafa.com